إسهامات وجهود علماء ليبيا في خدمة السنة النبوية
(إقليم طرابلس أنموذجا في العصر الوسيط).

د. الصديقة نصر الدعيكي
كلية التربية – جامعة بني وليد.
tarqnasir2016@gmail.com

المقدمة:

نستفتح بالذي هو خير، حمدا لله، وصلاة وسلاما على رسوله الذي اصطفى محمد ﷺ .

وبعد:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [1].

فقد جعل الله علم الحديث من أشرف العلوم وأجلها، وأنفعها وأبقاها ذكرا، وأعظمها أثرا، بعد علم القرآن الكريم، وقرن الله بينهما في العديد من الآيات الكريمة، قال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[3]، وقال ـ ﷻ ـ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4].

ولذلك عنيت الأمة الإسلامية وتوجهت جهودهم من لدن عصر الرسول ﷺ إلى خدمة السنة النبوية، والاشتغال بحفظ الأحاديث وروايتها، والالتزام بها علما، وعملا، وسلوكا، وأخلاقا في الشؤون كلها، ثم عنيت بجمعها، وتدوينها في كتب الأحاديث والسنن، من الصحاح، ولم يخلو مصرا

([1]) . الأحزاب: الآية (70، 71).
([2]) . آل عمران: الآية(164).
([3]) . البقرة: من الآية(231).
([4]) . الحشر: من الآية(7).

من الأمصار إلا وكان أهله ممن قدّموا طاقاتهم وإمكانياتهم لذلك وأنضجوها وصنفوا لها التصانيف الكثيرة وقاموا بالرحلة في سبيلها، حتى استوت تلكم الجهود على سوقها؛ فأثمرت مكتبة علمية ضخمة من كتب الرواية والدراية الحديثية، وقد اسهم علماء ليبيا المالكيين، كغيرهم من علماء الأقطار الإسلامية إسهاما في خدمة وتوثيق الحديث النبوي بمختلف فروعه، والعمل على تصحيحه وتدوينه.

ويعتبر إقليم طرابلس بما فيه من مدن وحواضر تاريخية من أهم بلاد المغرب الإسلامي والذي تشكلت فيه تربة خصبة للثقافة والحضارة، وازدهار مختلف العلوم فيه، فكان لهذا التراث جذوره التاريخية الثقافية والحضارية في المشرق والمغرب، وكان له دور في الحركة العلمية والنهضة العلمية على مر القرون، كما كان هناك ثلة من العلماء الليبيين ممن كان لهم عطاء علمي وجهود أفادوا بها في الدّيار المشرقية والمغربية على السواء.

وستتناول هذه الدراسة عرض إسهامات وجهود علماء ليبيا في خدمة السنة النبوية (إقليم طرابلس أنموذجا في العصر الوسيط) بصورة خاصة، رغبة في إبراز دور علمائها الذين قدّموا للحديث وعلومه جهودهم وأفنوا أعمارهم في سبيل خدمة الدّين وعلومه، وأثرهم على المشرق والمغرب، ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي يستحق اكثر من ذلك لتشعبه وصعوبة الاحاطة بأطرافه، فما الخدمات والجهود التي قدّمها أهل طرابلس من علماء ومحدِّثين للحديث النَّبوي وعلومه ومصنَّفاته؟ وكيف استفاد عامة علماء المشرق والمغرب الإسلامي من هذه الجهود؟ وما أهمية إقليم طرابلس من الناحية الجغرافية والعلمية، وهل كان له دور في ربط وتواصل المشرق والمغرب الإسلامي؟. ولتوضيح ذلك كانت الخطة التالية :

. المبحث الأول: التواصل العلمي بين اقليم طرابلس وبين المشرق والمغرب ومدن أفريقية .

. المطلب الأول: أهمية اقليم طرابلس باعتباره حلقة وصل بين المشرق والمغرب .

. المطلب الثاني: الرحلات وأثرها في علماء الإقليم.

. المطلب الثالث: أهم علماء الحديث في اقليم طرابلس الذين كان لهم دور في النشاط العلمي في ليبيا.

. المبحث الثاني: علماء الإقليم وصلاتهم بمدرستي الحديث بالمشرق والمغرب .

. المطلب الأول: الصلة بمراكز العلم في المشرق.

. المطلب الثاني: الصلة بمراكز العلم في المغرب.

. المطلب الثالث: كأنموذج الإمام أحمد بن نصر الداودي، من خلال كتابه"النامي في شرح الموطأ".

. الخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها والتي تخص هذه الدراسة.

. الفهارس العلمية.

. منهج البحث: لقد سرت في هذا البحث على منهجٍ علمي تكاملي متمثلا في المنهج الوصفي والاستقرائي، والتاريخي، والوصفي، والاستنتاجي.

المبحث الأول: التواصل العلمي بين اقليم طرابلس وبين المشرق والمغرب ومدن أفريقية.

إقليم طرابلس[5] هو أحد أقاليم ليبيا الثلاث، سمي بهذا الاسم نسبة إلى قاعدته وأكبر مدنه طرابلس، وحدود الإقليم من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وجنوبا إقليم فزان[6]، وشرقا إقليم برقة[7]وغربا خليج قابس[8]. ويعتبر من أهم المناطق في ليبيا، فقد اكتسب أهمية جغرافية مميزة منحته مكانة مهمة جعلت منه حلقة وصل وتواصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ومن صور هذا التواصل أنه ممرا للقوافل التجارية، ورحلات الحجيج، نتج عنه تبادل العديد من العلوم والثقافات، وغيرها من المنافع، وكذلك مرور الرحالة المسلمين خلاله إما متجهين من بلاد المغرب والأندلس إلى بلاد المشرق، أو بالعكس، مما عمل على ازدهار الحياة العلمية بالإقليم، ورصد ما يتعلق بالإقليم في تلك الفترة، وفي تدفّق عدد ضخم من نفائس الكتب والمخطوطات في شتى فنون المعرفة مروراً

([5]). طَرَابُلُسُ: مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية، ويقال أطرابلس، تقع في الشمال الغربي لليبيا، تطل على البحر الابيض المتوسط، وقال ابن بشير البكري، طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، واليونانية، فتحها عمر بن العاص سنة (23هـ). يُنظر: نزهة المشتاق للأدريسي(297/1)، ومعجم البلدان(25/4).

([6]). فَزَّانُ: ولاية واسعة بين الفيّوم وطرابلس الغرب، ولفظ فزان اقترن عند بعض المؤرخين والجغرافيين بجرمة والأراضي الواقعة إلى الجنوب منها، وهي المناطق التي تقع بين غات وجرمة. يُنظر معجم البلدان(4/ 260).

([7]). بَرْقَةُ: مدينة ذكرت في أغلب المصادر التاريخية والجغرافية، وهي أول حد المغرب من ناحية الشرق، مدينة في مرج واسع وتربة، ولها كور عامرة، ولها من الغلات الرمان والقطن. يُنظر: معجم البلدان: ص(181).

([8]). قَابِسُ: مدينة بين طرابلس والمهدية على ساحل البحر، وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية، كان فتحها مع فتح القيروان سنة (27هـ)، وساحلها مرفأ للسّفن. يُنظر معجم البلدان(4/ 289).

بأراضي الإقليم من الغرب إلى الشرق وبالعكس، وهجرة وانتشار القبائل العربية المهاجرة في أغلب المدن والقرى بالإقليم من بنى هلال[9] وسليم [10]، والهجرة الأندلسية[11] التي شهدها إقليم طرابلس في القرن (7هـ) الذي أثر وأحدث تغيراً في جميع جوانب الحياة، وخاصة الجانب العلمي منه[12].

المطلب الأول: أهمية إقليم طرابلس كحلقة وصل بين الشرق والغرب[13]:

اكتسبت طرابلس أهمية مميزة وكبيرة بموقعها منذ العصور القديمة، وإذا ما قلنا موقع طرابلس، فإن القول لابد أن ينصرف بالضرورة لموقع ليبيا والإقليم الذي تنتمي اليه، أتاح لها هذا الموقع دورا ومكانة مهمة جعلتها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب[14]، وعلى مر الزمن أخذ دور إقليم طرابلس يتصاعد، وخصوصا بعد أن خضع للسيادة الإسلامية، أصبح ذو أهمية حضارية واستراتيجية وقام بدور كبير على مر عصور الدولة الإسلامية، فكان من أهم المراكز الرئيسية في إفريقية في الفترة الزمنية موضوع البحث وخصوصا العلمية، فقد تضافرت عدة عوامل ومسببات جعلت من هذه الأجزاء من ولاية طرابلس ذات أهمية علمية وثقافية، فلقد هيأ الموقع الوسط لطرابلس ولليبيا عموما في العالم الإسلامي دورا علميا اضافيا، وكذلك ما اشتهر به أهلها من الفضل، والإقبال على العلم، رشحها لتكوين صلات ثقافية وثيقة مع أهل المشرق من جهة، ومع أهل المغرب من جهة أخرى.

---

(9). بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان من العدنانية. قطنوا نجداً والحجاز حول مكة وفي بسائط الطائف، وأقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر ثم إلى المغرب. يُنظر: تاريخ ابن خلدون(371/2)،ومعجم قبائل العرب(1221/3) .

(10). سليم: قبيلة تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن حفص بن قيس بن عيلان بن مضر بن عدنان. كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر إلى أن نزحوا إلى إفريقية. يُنظر: تاريخ ابن خلدون (94/6).

(11). نسبة إلى الاندلس، وهي: إقليم من بِلَاد الْمغرب مشتملة على بلاد كثيرة، تقع غربي خليج القسطنطينية. يُنظر: معجم البلدان (262/1)، واللباب في تهذيب الأنساب (89/1).

(12). يُنظر: ليبيا منذ الفتح العربي لأتوري روسي: ص(25)، وورقات عن الحضارة العربية: ص(263).

(13). يُنظر: رحلة عبر أفريقيا:ص(20)، وحكاية مدينه: ص(8)، وتجارة القوافل: ص(33)، الحركة الفكرية في طرابلس: ص(270)، وأهمية موقع ليبيا عبر التاريخ: ص(80).

(14). ولعل أهمية هذا الموقع هو الذي دفع الرحالة الألماني غيرها درولفس، إلى القول إن من يريد أن يكون حاكما على السودان يجب عليه أن يستولى على طرابلس. يُنظر: رحلة عبر أفريقيا: ص(20)، وتجارة القوافل: ص(33).

فعبر اراضيها ارتحل المئات من علماء وأدباء بقية المغرب والأندلس نحو المشرق، وكذلك ارتحلت مجموعات من علماء وأدباء مشرقيين نحوها، ونحو بقية المغرب والاندلس كثيرا تحت وطأة دواعي امنية وسياسية ومصلحية وعقائدية، وغير ذلك، وفي كلتا الحالتين كانت جموع معظم هؤلاء وأولئك من العلماء والأدباء تحط رحلها في ليبيا وفي طرابلس بصفة خاصة تتروح من وعثاء السفر، ومنهم من ينشر فيها ما تلقاه في رحلته من العلم، وبعضهم يتأثر ويؤثر بالحياة العلمية في الإقليم، بل إن منهم من استهوته طرابلس فاتخذها موطنا، وأخذ مكانه بين علمائها. بالإضافة إلى ذلك فإن لموقع طرابلس الوسط دور علمي وثقافي ثالث، وهو وقوعها على طريق الحج بالنسبة للمغاربة والاندلسيين[15]وقد أتاح لها هذا الافادة من وفود العلماء والادباء الذين كانوا يحطون بها مؤقتا في طريقهم لادا منسكهم، وثمة عامل آخر جعل من طرابلس بيئة علمية ومركزا ثقافيا مهما، وهو استيطان الاباضية[16] فيها وفي جبل نفوسة[17] على وجه الخصوص، ولذلك سادت الجبل نهضة علمية وثقافية اباضية الملامح والسمات، فتأسست فيه أول امامية إباضية أولت العلوم وخاصة مع مايتفق مع المذهب الاباضي منها رعايتها واضطلع الجبل بإثراء الحياة العلمية الاباضية بالعديد من المصنفات المذهبية[18].

([15]) . يُنظر ليبيا منذ الفتح العربي لصالح مفتاح: ص(219).

([16]) . الاباضية هي: إحدى الفرق الدينية المتفرعة من الخوارج، وتنسب إلى عبدالله بن أباض، تحولت من فرقة سياسية إلى فرقة دينية، وكان أول ظهور المذهب الأباضي بمنطقة إقليم طرابلس منذ حوالى القرن (2هـ) وقد لعب المذهب الأباضى دورا في ازدهار الحياة العلمية بإقليم طرابلس، وفي جبل نفوسة بوجه الخصوص. يُنظر: الفرق بين الفرق: ص(82).

([17]) . هو: سلسلة جبال صخرية ، تبتدئ من الغرب من غربي نالوت، وينتهي بحدود غريان الشرقية، سمي هذا الجبل باسم قبيلة نفوسة البربرية التي كانت تسكنه، وهو من أكبر تجمعات الإباضية. يُنظر معجم البلدان للزاوي: ص(97).

([18]) . يُنظر: ليبيا منذ الفتح العربي لصالح مفتاح: ص(57)، وتاريخ المغرب العربي لزغلول(295/2)، والحياة العلمية في افريقية(203/1)، والحياة العلمية في جبل نفوسة(55/1).

وقد ترك لنا كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب الأوائل من زار ليبيا مشاهدتهم ونصوصهم عن ذلك[19] فقال البكري[20] يصف طرابلس: مدينة أطرابلس على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود [21]، وزار طرابلس ابن رشيد السبتي[22] سنة (685هـ)، وأثنى على جامع طرابلس الأعظم، ومدرستها المنتصرية[23]، والرحالة العبدري[24] الذي زار طرابلس في سنة(689هـ) والذي أعطى نفس الوصف والانطباع، مضيفا أنه لم ير مثل بناء هذه المدرسة في أي قطر من أقطار المغرب الإسلامي[25].وكذلك التيجاني[26].

فهذه المصادر التاريخية تعطينا وصفا للتطور الاقتصادي والفني والثقافي والاجتماعي، والعلمي الذي أضفى بدوره أهمية على الإقليم.

([19]) . منهم على سبيل المثال: اليعقوبي، وابن خرداذبة، والكرخي، وابن حوقل، والمقدسي، والمراكشي، والبكري. يُنظر: المسالك والممالك لابن خرداذبة: ص(85)، وجامع البلدان لليعقوبي: ص(181)،وصورة الأرض(69/1)، وأحسن التقاسيم: ص(216)، والمعجب للمراكشي: ص(250)، والمسالك والممالك للبكري (653/2).

([20]) . هو: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة، علامة بالأدب، نسبته إلى بكر بن وائل، له كتب كثيرة منها: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، توفي سنة(487هـ). ترجمته في: الصلة: ص (277).

([21]) . يُنظر المسالك والممالك للبكري (653/2).

([22]) . هو: محمد بن عمر، أبو عبد الله، ابن رشيد الفهري السبتي: رحالة، عالم بالأدب، عارف بالتفسير والتاريخ. توفي سنة(721هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة (369/5)، والأعلام (314/6).

([23]) . هي اشهر المدارس الموجودة في الإقليم، وقد لعبت دورا مهما في ازدهار الحياة العلمية بطرابلس، كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات. يُنظر: رحلة التيجاني: ص(251)، ومعجم البلدان للزاوي: ص(304).

([24]) . هو: محمد بن محمد بن علي أبو عبد الله العبدري: فقيه رحالة مالكي يقال له الحاحي والحيحي، صاحب الرحلة العبدرية. توفي (نحو700هـ). ترجمته في: شجرة النور الزكية(312/1)، والأعلام (32/7).

([25]) . يُنظر الرحلة المغربية: ص(76).

([26]) . يُنظر رحلة التجاني: ص(252). والتيجاني هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، التجاني، عالما أديبا شاعرا رحالة. كان حيا حوالى(708هـ). ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين(155/1)، ومعجم المؤلفين(39/6).

المطلب الثاني: الرحلات وأثرها في علماء الإقليم[27].

مع بدايات القرن(2هـ) امتدت واتسعت فتوحات العرب ودولتهم، وكان لاختلاطهم بالشعوب الأخرى أثر كبير في نشأة المدينة الإسلامية وتطورها، فملك العرب ناصية العلم والمعرفة، وازدهرت الحضارة الإسلامية في مجالات وميادين علمية مختلفة منها: ميدان الرحلات والأسفار، وطبيعي أن تكون الرحلات والأسفار من أول السبل لطلب العلم في تلك العصور؛ فقد كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسة تقوم بتتبع هذه المراجع والمؤلفات، التي تزدحم بها خزانات الكتب الخاصة والعامة. وفضلًا عن ذلك انتشار وتعدد مراكز الثقافة في ديار الإسلام، فكان رجال العلم ينتقلون في طلبه من إقليم إلى آخر، يدرسون على مشاهير الأساتذة ويلقون أعلام العلماء في شتى أنواع العلوم والمعارف.

لقد عُرفت الرحلة عبر مراحل التاريخ الإسلامي، بأنها مظهر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، بما ساهمت في ربط حضارة المشرق بالمغرب، فما هو مفهوم الرحلة، وما هي دلالاتها ومعانيها.

أولا: مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا:

. لغة[28]: وتعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين سواء كان ماديا أو معنويا، يقال: رَحَلَ يَرْحَلُ رِحْلَةً، الرِّحْلَةِ، وَالرِّحْلَةُ: الِارْتِحَالُ، وتأتي بمعنى الإشخاص والإزعاج، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السَّفر وجمعه أسفار [29]، ومنه قوله تعالى:﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[30] وقد ورد ذكر الرحلة في القرآن في قوله تعالى:﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[31] ، يقال رحل الرجل إذا سار، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان، والرُّحْلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده؛ تقول

([27]) . يُنظر: الحياة العلمية في أفريقيا: ص(120)، والرحالة المسلمون في العصور الوسطى: ص(9)،

([28]) . يُنظر: مقاييس اللغة(497/2)، ولسان العرب(274/11)، والقاموس المحيط: ص(1005)، مادة(رحل).

([29]) . يُنظر:الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها: ص(15).

([30]) . سبأ: من الآية 19.

([31]) . قريش: الآيتان 1، 2.

أنتم رُحْلتي أي الذين أرتحل إليهم، وأيضابمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر.

. اصطلاحا[32]: كانت الرّحلة في طلب العلم أمرا لابد منه لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، وهي وسيلة لتحصيل المعارف وتوسيعها، ومصدر هام لرصد بعض جوانب حياة الناس في مجتمع معين، فعن ابن حنبل[33]، قال: سألت أبي عمن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلا عنده علم، فيكتب عنه أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟، قال: يَرْحَلُ يَكْتُبُ عَنِ الْكُوفِيِّينَ[34] وَالْبَصْرِيِينَ[35]، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ[36] وَمَكَّةَ[37] يُشَامُّ [38]النَّاسَ يَسْمَعُ مِنْهُم[39].

تُعد الرحلة من السنن الرانية، التي يدعوا إليها القرآن الكريم فقال ـ ﷻ ـ: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[40]، فهي نبعاً استقى ولا يزال يستقي منه

([32]) . يُنظر: إسهامات علماء المغرب: ص(57)، وأدب الرحلات: ص(15)، وأهمية أدب الرحلات: ص(79).

([33]) . هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، من أشهر كتبه المسند، توفي سنة(241هـ). . يُنظر: وفيات الأعيان(63/1)، وتاريخ الإسلام(61/18).

([34]) . نسبة إلى الْكُوفَة، وهي: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق. وسُميت بالكوفة لاستدارتها، وقيل لاجتماع الناس بها، وكان تمصيرها في أيام عمر بن الخطاب . ﷺ .. يُنظر معجم البلدان (490/4).

([35]) . نسبة إلى الْبَصْرَة، وهي: المدينة المعروفة من أعمال العراق، وتقع في الجنوب منه أنشئت في عهد عمر بن الخطاب . ﷺ . وينسب إليها عدد من العلماء الأجلاء منهم أبو الحسن البصري يُنظر معجم البلدان(430/1).

([36]) . هو اسم غلب على مدينة النبي . ﷺ .، قال تعالى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَ ﴾[المنافقون: الآية 8]،وقال تعالى:﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾[التوبة: الآية 101]وهي يثرب قال ـ ﷻ ـ : ﴿ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُم﴾[الأحزاب: الآية 13]. يُنظر الروض المعطار: ص(529).

([37]) . هي: بيت الله الحرام، ويقال: مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، قال تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[آل عمران:96]، وهي أم القرى شرفها الله تعالى، والحاطمة والباسة وصلاح، وهي عاصمة الحجاز، وأهم مدنه. يُنظر: معجم البلدان(181/5)، والروض المعطار: ص(93).

([38]) . أي: ينظر ما عندهم، ويدنو ويخالقهم ويقرب منهم. يُنظر لسان العرب (329/12) مادة(شيم) .

([39]) . يُنظر: مسائل أحمد بن حنبل: ص(439)، والرحلة في طلب الحديث: (88).

([40]) . العنكبوت: الآية 20.

الرحالة والعلماء مادتهم، وعن أهمية الرحلة تحدث ابن خلدون[41] مشيرا إلى الأثر البالغ الذي تتركه الرحلات في مرحلة تعلم الطلبة والعلماء فقال:" أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم والسّبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما و إلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشّيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[42]

مثلت الرحلات وخاصة الدينية والعلمية منها مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية مستمدة من الدولة الإسلامية منذ تأسيسها على يد النبي ـ ﷺ ـ في المدينة المنورة[43]، حيث كان حج البيت، وطلب العلم من أهم دوافع هذه الرحلات. وقد **اعتبرت الرحلات نوعاً من أنواع الترابط والتواصل الحضاري**، وعاملا هاما في تمتين الصلات والروابط الثقافية بين الشعوب[44]، وعرف أهل الغرب الإسلامي ومنهم أهل طرابلس أهمية الرّحلة ولمسوا ضرورتها، وتسارعوا في شدّ المطايا إلى مختلف جوار العالم الإسلامي لتوسيع علومهم، فأسهمت هذه الرحلات في إثراء واستمرار الحركة العلمية التي كانت يشهدها الإقليم ومختلف المراكز الثقافية مغربية كانت أم مشرقية، وقد كان لعلماء ليبيا عامة وطرابلس خاصة دورهم البارز والواضح في ذلك منذ القرن(2هـ) تجلى في الرحلة في طلب العلم، ونماذج العلماء ورحلاتهم شاهد يؤكد تلك الجهود التي بذلها الكثيرون من علماء طرابلس،

([41]). هو: هو: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤرخ مصنف، نشأ في تونس، ثم رحل إلى مصر، وتولى قضاء المالكية فيها، توفي سنة(808هـ).ترجمته في: شذرات الذهب (9/ 114) ، والأعلام (3/ 330)

([42]). ديوان المبتدأ والخبر: ص(744).

([43]). وفي القرآن والسنة ما يستدل به على أهمية الرحلة في طلب العلم ـ عموما ـ و في طلب الحديث خصوصا منها مارواه الخطيب البغدادي بسنده إلى يزيد بن هارون الواسطي قال: يا أبا إسماعيل هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن، فقال: نعم، ألم تسمع إلى قوله ـ ﷻ ـ :﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[التوبة: 122] فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه. يُنظر الرحلة في طلب الحديث: ص(86)، وفي = =الحديث قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ". رواه أبو داود في سننه (3/ 317) رقم(3641)، كِتَاب الْعِلْمِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.

([44]) . يُنظر:الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي: ص(63)، والرحلة في الاسلام أنواعها وآدابها : ص(15).

فكثير منهم ارتحلوا إلى المشرق والمغرب واستقروا فيها وقضوا أعمارهم في تعليم العلوم الدينية وخاصة فيما يتعلق بالسنة وعلومها، وترك كثير منهم مؤلفات وآثاراً دلت على جهودهم المباركة. وقد شهد الزمان على جهود أهل طرابلس في تعلم العلم وتحصيله والمحافظة على المصنفات الحديثية وعلى أصولها من خلال إنشاء المساجد والزوايا[45] والمدارس[46] والتي استقطبت كثيرا من العلماء والفقهاء[47]حيث قضوا جل وقتهم بين أركان هذه المؤسسات يعلمون ويتعلمون، فعقدت مجالس العلم والتحديث، وظهرت الإجازات العلمية التي كانت تمنح إلى طلبة العلم، وانتشرت المكتبات[48] التي حرص أصحابها على اقتناء كل نفيس من كتب المعرفة ومنها كتب الحديث وعلومه والمحافظة عليه.

وقد لفت نظر التجاني عند زيارته مدينة طرابلس وضواحيها في القرن(7هـ)، كثرة المساجد فيها، حيث قال عنها: ومساجد البلد[49] لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عدة، وقوله في مكان آخر : وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة، وهي مساكن للصالحين قديماً وحديثاً شهيرة[50] .

([45]). من هذه الزوايا: زاوية أولاد سهيل، وزاوية الباز، وزاوية يوسف الجعراني، ووزاوية الحطاب. يُنظر: نفحات النسرين والريحان: ص(196)، وأحمد زروق والزروقية: ص (172).

([46]) . من اشهر المدارس الموجودة في الإقليم، المدرسة المستنصرية، ومدرسة الرخام، وابن ثابت، وفي جبل نفوسة مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس، ومدرسة عمر بن يمكتن، وغيرها الكثير. يُنظر: رحلة التيجاني: ص(251)، والنشاط الثقافي في ليبيا: ص(111)، والحياة العلمية في جبل نفوسة: ص(66).

([47]) . منهم على سبيل المثال: أبو خليل محمد الحكيمي، وإبراهيم بن علي العوسجي، وأحمد بن عبد الرحمن حلولو، وعبد الله محمد بن علي الخروبي، وعمران بن عبد السلام الأسمر. يُنظر: رحلة التيجاني: ص(219)، والتذكار: ص(170).

([48]) . منها: مكتبة زاوية أحمد الزروق، ومكتبة زاوية عبد السلام الأسمر، ومكتبة خزانة نفوسة . يُنظر: معجم البلدان للزاوي :ص (166)، والنشاط الثقافي في ليبيا: ص(108)، ودراسات في تاريخ المكتبات والوثائق: ص(17).

([49]) . من هذه المساجد: المسجد الجامع بالإقليم، وجامع الناقة، وجامع طرابلس الأعظم، أما عن المساجد في دواخل الإقليم فقد اشتهر عدد منها مثل: مسجد أبي معروف، ومسجد أبي راس، ومسجد المغربي، وغيرها. يُنظر على سبيل المثال: رحلة التيجاني:ص(247)، وتاريخ ليبيا لإحسان عباس: ص(106)، والنشاط الثقافي في ليبيا: ص(102).

([50]) . يُنظر رحلة التجاني: ص(220)، ص(254).

وقبل أن نختم الحديث عن الرحلات العلمية لابد من التنويه على أن كل هذه الرحلات كان لها دور كبير في تقدم الحياة العلمية بالإقليم خلال الفترة موضع البحث ، ولكن هذا الدور لم يكن وحده بل كان لمجهودات العلماء الذين لم يرحلوا إلى المشرق، أو المغرب . وهم كثيرون . دورهم العلمي والثقافي جنبا إلى جنب مع عامل الرحلات[51].

المطلب الثالث: أهم علماء الحديث في اقليم طرابلس الذين كان لهم دور في النشاط العلمي في ليبيا [52]:

إن الدارس لحياة العلماء ونشاطهم وتأليفهم في ليبيا خلال العصر الوسيط يجدها محاطة بالغموض، خاصة وأن جُلّ المصادر في هذا المجال هي الرحلات المغاربية، وبالرجوع لبعض هذه المصادر لنقارب ونلامس بعض الحقائق عن هذه الفترة وعن هذا الإقليم لوجدنا أن طرابلس كانت محطة مهمة للحجاج والمسافرين بين مشرق الوطن العربي ومغربه، وكانت طبيعة العصر ومشقة السفر تقتضي الإقامة مددا طويلة للراحة، فجعل هذا من طرابلس بحكم موقعها أحد مراكز الإشعاع العلمي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط فبرز فيها العلماء وظهرت مكانتها واهتماماتها العلمية مما مهد لطلاب العلم لقاء العلماء الوافدين عليها، وقد دلت النصوص الواردة في هذه الرحلات ومنها رحلة التجاني على أن طرابلس كانت ملتقى كبار العلماء المغاربة، وكانت محطة في طريق ترحالهم؛ ولكنه لسبب أو لأخر يقيمون بها فترة قد تطول وقد تقصر، فتتحلق حول هؤلاء العلماء الرحالة حلقات الطلاب، والراغبين في نهل العلم والتعلم، وأيضاكم تكن طرابلس خالية من أبنائها العلماء من أمثال ابن زكرون، وابن المنمر وغيرهم، فكان طلاب العلم يتعلمون بالداخل عن طريق المساجد والزوايا، ومن كل من يفد إلى البلاد سواء أكانوا حجاجا أم تجارا أم فقهاء أم علماء. وقد سُئل ابن الأجدابي[53]: أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناتة؛ وهما

([51]) . يُنظر: الحياة العلمية في إفريقية(150/1)، والحياة العلمية بجبل نفوسة: ص(99/1).

([52]) . يُنظر: الحياة الثقافية في ليبيا: ص(1).

([53]) . هو الفقيه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد، الأجدابي، عالم لغوي، من تآليفه: كفاية المتحفظ، الأزمنة رسالة في الحول، توفي سنة(470هـ). ترجمته في: ديوان الإسلام (192/1)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص(50).

بابان من أبواب البلد، نُسبا إلى من نزل بهما في أول الزمان، ويشير أنه إنما استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يفد على طرابلس، فيدخل من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين[54].

وسأذكر هنا نماذج من العلماء الذين لم تكن لهم رحلات، أما من كانت لهم صلات علمية بالمشرق والمغرب فسأذكره في موضعه. من علماء الإقليم ولم يرتحلوا :

1. محمد بن موسى بن أبي محمد بن مؤمن الكندي أبو بكر النحوي كتب الحديث والنحو وأكثر، وكان رجلا فاضلا صالحا، انتفع به أهل طرابلس في الفقه والحديث[55].

2. أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبيد عرف بالإمام الحافظ، كان من الذين نالوا درجة الحفظ في فن الحديث، وما يتصل به من العلوم والفنون. كما كان إمام في علم الفقه وأصوله وفي علوم جمة[56].

3. عبد الله بن ميمون الأطرابلسي[57].

4. حبيب بن محمد الأطرابلسي[58] .

5. من علماء الأباضية: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي بحر العلم الزاخر فاق في علوم القرآن والحديث والسنن والآثار والنظر والجدل والمنطق والفروع والأحكام والفرائض والمواريث، وغيرها[59].

([54]) يُنظر رحلة التيجاني: ص(264).

([55]) توفي سنة(351هـ).ترجمته في: معجم الأدباء للحموي(2653/6)، وإنباه الرواة(218/3).

([56]) . أخذ عن القاضي أبي موسى معمر ، محمد الهنزوتي ،وعبد الله بن مسلم القابسي وابن أبي الدنيا، وعنه صاحب الرحلة التجانية، ليس له رحلة عن بلده إلا إلى الحج كان بالحياة سنة(707هـ).ترجمته في: شجرة النور(1/ 294).

([57]) . روى عن سليمان بن داود القيرواني، وروى عنه أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن المروزي. ترجمته في: الأنساب للسمعاني: ص(301)، ومعجم البلدان (217/1)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص(246).

([58]) رجل صالح فهم سمع جماعة من أهل بلده، روى عنه أبو مسلم العجلي ووثّقه. ترجمته في: معجم البلدان (217/1)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص(143)، والجواهر الإكليلية: ص(42)

([59]) من تآليفه: كتاب الترتيب في علم الحديث، توفى سنة(570 هـ).ترجمته في: النشاط الثقافي في ليبيا: ص(142)، والحياة العلمية في جبل نفوسة: ص(86).

المبحث الثاني: علماء الإقليم وصلاتهم بمدرستي الحديث بالمشرق والمغرب

ما إن دخل إلى إفريقية فقه المذاهب في منتصف القرن(2هـ)، حتى وجد معظم الليبيين أنفسهم منساقين لاتباع المذهب المالكي، بسبب كثرة اعتماد صاحبه على الحديث، واقتصاره على الأخذ عن الرواة الثقات غالبا، وقد ارتبط الحديث بالفقه في الإقليم، فمن خلال التراجم والرحلة والمصنفات؛ فإنه يندر أن نعثر على عَلم لم يبرع في عِلْمي الحديث والفقه، فالحديث كان يمثل معظم مادة الفقه الأولى التي دخلت الإقليم، وأن عامة العلوم الشرعية كانت تستمد أدلتها، بعد القرآن، من السنة وفتاوي الصحابة والتابعين . فحفظت السنة بحفظ القرآن الكريم، وبجهود الأئمة العلماء، ونظرة في تراجم الرواة تدلنا على مدى المشاق التي لقيها هؤلاء الأئمة واستعذبوها في سبيل حفظ السنة وسماع أحاديث رسول الله ﷺ من مصادرها الصحيحة، مما ترتب عليه شيوع رواية الحديث والعمل به في الأقطار المختلفة كل ذلك نتيجة ارتحال العلماء من بلد إلى بلد في طلب حديث رسول الله ﷺ ، ومن بين هؤلاء علماء الإقليم وما قاموا به من رحلات إلى مختلف بلاد المغرب والمشرق لطلب العلم، ثم الالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم ، وغير ذلك من العوامل والمسببات والخصائص التي ذكرتها هيأت الاقليم لتكوين صلات علمية مع أهل المشرق وأهل المغرب، واقتباس ما فيهما من العلوم ونشرها في ليبيا وإفريقية، وما نتجت عنها بعد ذلك مكاتبات واستدعاءات للإجازة، وتبادل للكتب، ونحو ذلك من مظاهر الصلة[60].

فما مفهوم السُّنَّة ؟ وما هو التواصل؟ وماهي علاقة علماء الإقليم وصلاتهم بمدرستي الحديث في المشرق والمغرب ؟.

السُّنَّة في اللغة[61]: أصلها من مادة (سَنّ).(فالسَّنن) الطريقة، يقال: استقام فلان على سَنَنٍ وَاحِدٍ. ويقال: امض على (سَنَنِكَ) وَ (سُنَنِكَ) أي على وجهك. وسُنَّةُ الله: أحكامه وأمره وَنَهْيُهُ ؛ وسَنَّها اللَّهُ للناس: بينها. وسَنَّ اللَّهُ سُنَّة أي بَيَّن طريقا قويما. قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾[62]. وقد أطلق لفظ السُّنَّة في اللغة على معانٍ عدة[63].

([60]). يُنظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: ص(235)، ومدرسة الحديث(1/247،174).

([61]). يُنظر: معجم مقاييس اللغة(3/60)، ومختار الصحاح: ص (155)، ولسان العرب(13/225)، مادة (سنن).

([62]). الأحزاب: من الآية (38).

مفهوم السُّنَّة اصطلاحا[64]: إن علماء الشريعة ـ جميعهُم ـ متفقون على أنّ السُّنَّة مصدر للدين ـ عقيدة وشريعة، وأخلاقا، وآدابا، وعلوما، ومعارف ـ وهي التي يُسْتَمَد منها الأحكام التكليفية، وهذا واضح وجليٌّ في مصنفاتهم، وما قرروه في علومهم المتنوعة، التي استنبطوها من السُّنَّة. إلا أنَّ مدلول السُّنَّة عند أهل الشَّرْع ورد بتعريفات متغايرة، ومختلفة، وذلك بحسب مجال اختصاصهم، واختلاف أغراضهم، فهناك اصطلاح خاصٌ بلفظ السُنَّة متعارف عليه عند كل فريق منهم[65]

ومن أوسع التعريفات وأشملها، تعريف السُّنَّة بأنها: ما أضيف إلى النبي ـ ﷺ ـ من: قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقي أو خُلُقي أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي، وهي ترادف الحديث عند أكثرهم.

أما التواصل في اللغة[66]: وصل بمعنى اتصل، والوصل ضد الهجران، وبينهما وصلة أي: اتصال وذريعة، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة، والجمع وصل، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع.

اصطلاحاً[67]: له تعاريف كثيرة منها: هو العملية التي بمقتضاها يتفاعل مرسل الرسالة ومستقبلها في مضامين معينة، أو هو تفاعل بين طرفين، وفي هذا التفاعل تنقل أفكار ومعلومات أو وقائع وعواطف وآراء، ومشاركة الصور الذهنية، والتوجيه والإقناع. الاتصال غايته ومرماه ومقاصده هي التواصل والاستمرار وتبادل المنافع والمصالح والفوائد كيفما كانت مادية اقتصادية أو معنوية، مثل: القيم الثقافية والأخلاقية.

([63]) منها: السيرة المتَّبعة، والطريقة المسْلوكَة، والمنهج والمذهب، والعناية بالشيء وحسن التدبير فيه، وابتداء الأمر، والأُنْمُوذَج الذي يُحْتذى. يُنظر : الصحاح (2139/5)، و المفردات للراغب: ص(429)، مادة (سَنَن).

([64]) يُنظر: الحطة: ص(54)، وقواعد التحديث :ص(61)، السُّنَّة ومكانتها للسباعي: ص(47)، والوسيط: ص(15)، وعلوم الحديث ومصطلحه: ص(3)، ومنهج النقد :ص(27)، ودراسات في السنة النبوية: ص(62).

([65]) يُنظر الحديث والمحدثون: ص (9).

([66]) . يُنظر: لسان العرب(726/11)، مادة (وصل).

([67]) . يُنظر الدعوة ووسائل الاتصال:(1)، ورحلات المغاربة إلى المشرق: ص(7)

المطلب الأول: الصلة بمراكز العلم في المشرق[68]

نشأت الحياة العلمية بطرابلس على أيدي الصحابة، ثم تركزت على أيدي التابعين[69] الذين دخلوا ليبيا وإفريقية فاتحين ومعلمين، فهم أول من نشر علم الكتاب والسنة قولا وعملا، وفتحوا أعين الأفارقة على المشرق وما فيه من العلوم، وأدركوا أهمية علم المشارقة فأقبلوا عليه للإفادة من علمائه، فأخذوا عنهم سواء ممن كان بينهم من أهله، أو ممن كان يأتي إليهم من المغاربة والأندلسيين بعد عودتهم من المشرق وسماعهم من أهله، ومما زاد حركة الحديث في الاقليم نشاطا رحلة تلة من علماء الإقليم إلى المشرق لسماع حديث رسول الله ﷺ وجمع كتبه، والاستفادة من شيوخ الحديث والعلماء، فوجدت ونشأت صلات علمية بين

الإقليم ومراكز مشرقية كثيرة غير أن أهم هذه الصلات وأعمقها الصلات بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وسأكتفي اختصارا بذكرهما كأنموذجين:

أولا: الصلة بمكة المكرمة[70]:

اختص الله مكة المكرمة بميزات لا توجد في غيرها[71] وهي بذلك لاريب مبدأ ومنتهى الحركات العلمية بسبب الرحلات السنوية للحج والزيارة، تهفو إليها قلوب المسلمين من كل مكان على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعاداتهم وثقافاتهم ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[72] من هذه المنافع وجود أشهر العلماء هناك ومقصدا وملتقى لطلبة العلم، للتلقي عنهم، ومباحثتهم، ومسألتهم في العلم، وأيضا وسيلة مهمة لنقل الكتب إلى مختلف البلاد الإسلامية. وقد استفاد الطرابلسيون من ذلك، حيث

([68]) . يُنظر: مدرسة الحديث(198/1)،(423/2)، والفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي(225/2)، والصلات العلمية بين مكة وطرابلس: ص(3).

([69]) . يُنظر: فتوح مصر والمغرب: ص(220)، ورياض النفوس(60/1)، ومدرسة الحديث (465/2).

([70]) . يُنظر: مدرسة الحديث(437/1)، والرحلات المغربية والأندلسية: ص (255)، ودور علماء مكة المكرمة: ص (5).

([71]) . تعد مركزًا علمياً هاماً لما تحتويه من معارف ثقافية ودينية وآثار حضارية، فشرفها الله بالمسجد الحرام وفيه الكعبة قبلة المسلمين، ومكانا لمناسك الحج والعمرة. يُنظر: مدرسة الحديث(437/1)، والرحلات المغربية والأندلسية: ص (255).

([72]) . الحج: من الآية28.

ذهب فريق منهم فأخذوا العلم عمن وجد بمكة من العلماء، من أهلها أو ممن دخلها، فأذوا عنهم علوم الرواية والدراية، وحملوا عنهم مصنفاتهم، ورجع إلى بلده يبث علمه هناك، ومنهم من طاب له المقام بمكة فمكث فيها، ومن أشهر من مثل الصلة بمكة من هؤلاء:

1. علي بن أحمد بن زكريا الخصيب، المعروف بابن زكرون الأطرابلسي، كان فقيها محدثا ناسكا زاهدا، انتفع به أهل طرابلس في الفقه والحديث، نشأ وتتلمذ على أشهر مشائخها، له مصنفات كثيرة في الفقه والفرائض، والشروط والرقائق، وله في الحديث والرجاء تواليف[73]، ذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وهناك سمع من شيوخ مكة وكبار محدثيها[74].

2. ابن المنمر الطرابلسي، أبو الحسن، علي بن محمد المنتصر، من أهل طرابلس، ولد ونشأ وحفظ القرآن فيها، وتفقه على شيخ طرابلس . في وقته . ابن زكرون، وذهب للقيروان[75] ثم ارتحل لأداء فريضة الحج سنة(389هـ) فمر بمصر[76]، ووصل إلى مكة فأخذ الحديث عن محدثها بن زريق البغدادي[77]، ثم عاد ابن المنمر إلى طرابلس بعد أخذه بنصيب وافر من الحديث والفقه والفرائض،

([73]) . لم تذكر كتب التراجم منهم إلا كتابين، وهما المعالم الفقهية، والمعالم الدينية، ذكرهما التيجاني، أما البقية فهي مفقودة. يُنظر: ترتيب المدارك(6/ 274)، ورحلة التيجاني: ص(652).

([74]). منهم: أبو محمد عبدالله بن الجارود النيسابوري، وأبوبكر محمد بن إبراهيم. أما مشائخه الآخرون فمتنوعة أوطانهم من طرابلس، ومصر والأندلس، ومن تتلمذ له ثلة منهم: عبدوس الطليطلي، وابن المنمر، توفي بطرابلس سنة(370هـ) ترجمته في: تاريخ علماء الاندلس (571/2)، وترتيب المدارك(274/6)، وسير اعلام النبلاء(14/ 239).

([75]) . فأخذ عن أبي محمد ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي. يُنظر: ترتيب المدارك(274/7)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص (272)، والقَيْرَوَان: من أعظم المدن التونسية، افتتحها جيش معاوية . ﷺ . سنة(50هـ)، وكانت مركزاً مهماً في نشر الإسلام بإفريقيا. يُنظر: المسالك والممالك للبكري(2/ 675)، ومعجم البلدان(4/ 420).

([76]) . سمع من الوشاء، والجوهري. يُنظر: المصادر السابقة.

([77]) . هو: أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن زريق البغدادي، الشيخ، المحدث، الثقة، روى عن محمد بن يوسف الهروي، والمحاملي، ومحمد بن مخلد، توفي سنة(391هـ).ترجمته في: تاريخ بغداد(5/ 389)، وسير أعلام النبلاء(16/ 552).

وهو من العلماء الذين كان لهم دور كبير وأساسي في الدفاع عن المذهب المالكي ومناهضة المذهب والذين ناهضوا دولة بني عبيد، وأظهروا المعارضة والمقاومة لهم وصمدوا ضدهم وأفتوا بكفرهم [78].

3. أبو الحسن علي بن حميد بن عمّار الأطرابلسيّ، المكى ، سمع صحيح البخارى[79] من أبى مكتوم عيسى بن أبى ذرّ الهروى[80]، وتفرّد به عنه، ورواه عنه جماعة[81].

4. عائلة الحطّاب الطرابلسية ذات الأصول الأندلسية التي استوطنت مكة بصورة دائمة، بينما رجع بعضهم إلى طرابلس، ومشاهير علمائها درسوا على شيوخ مكة، ثم درسوا العلم فيها، نذكر منهم : العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني الطرابلسي الشهير "بالحطّاب الصغير"، تلقى العلوم على يد العلماء في الحجاز ومصر، وقد تفقه في كثير من العلوم، والتي جعلته من كبار علماء المالكية في عصره، حافظا كبيرا في الحديث وعلومه[82].

([78]) . لقيه بطرابلس أبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن المجريطي، وصحبه مدة، وأبو القاسم عبدالرحمن بن محرز القيرواني، توفي في قرية غنيمة منفيا سنة(432هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك (274/7)، والصلة: ص(642).

([79]) . هو: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، أبو عبد الله: حافظٌ لحديث رسول الله ﷺ ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ماوثق برواته، توفي سنة(256هـ)، من آثاره: "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري، و"الضعفاء" في رجال الحديث. ترجمته في: الجرح والتعديل(191/7)، وفيات الأعيان(188/4).

([80]) . هو: الشيخ العالم ابن الحافظ الكبير أبي ذر عبد بن أحمد الأنصاري، الهروي، روى عن أبيه صحيح البخاري، وعن محمد بن الحسين الصنعاني جملة من تواليف عبد الرزّاق، توفي سنة (497هـ). ترجمته في العبر(375/2).

([81]) . منهم: محمد بن عبد الرحمن التجيبي الأندلسي، وناصر بن عبد الله المصري العطار، و عبد الرحمن بن أبى حرميّ. توفي سنة (576هـ). ترجمته في: سير اعلام النبلاء(541/20)، والعقد الثمين (5/ 250).

([82]) . يعد والده محمد بن عبد الرحمن الحطاب أول شيوخه، أخذ عنه جماعة منهم: ابنه يحيي، له تصانيف عديدة تدل على إمامته وسعة حفظه. توفي سنة(954هـ) ترجمته في: نيل الابتهاج:ص(592)، وهدية العارفين(242/2).

ثانيا: الصلة بالمدينة المنورة[83]: حظيت المدينة المنورة بأهمية علمية كبيرة، وذلك لكونها حاضرة ثقافية تزخر بمراكز علمية هامة دينية وحضارية وعديد العلماء والمؤلفات وهذا ماجعلها مقصدًا لطلبة العلم خاصة العلماء والفقهاء وللرحالة عامة والمغاربة خاصة، فوجود العالم في المدينة يغنيه عن كثير من الرحلات إذ العلماء يأتون إليها من كل صوب، وهذا ما حدث لبعض علماء طرابلس، حيث ذهب فريق منهم فأخذوا العلم عن أهم شيوخ وعلماء المدينة، الإمام مالك[84] ﷺ وهو الذي نشأ وتلقي الحديث والفقه في مدينة رسول الله ﷺ من كبار الفقهاء، والتابعين وعن رواة حفظ الحديث, وكان يؤخذ عنه الحديث كما يؤخذ الفقه, فعُد الإمام مالك ومنهجه وموطئه وتلاميذه أكثر المدارس المشرقية تأثيرا في ليبيا خاصة وإفريقية عامة، وامتازت الصلةبينهما بالكثافة والعمق وبعد الأثر، وكان من نتائجها أن اختار أهل الإقليم منهج الإمام مالك الذي يعتمد على الحديث والأثر وكان لهذه الصلة بعدها التاريخي، فقد دخل إفريقية من تابعي المدينة الكثير[85] ومروا بليبيا وباقليم طرابلس ولم يكن مرورهم خاليا من أثر، وفي القرن(2هـ) بدأت صلة طرابلس بالإمام مالك بن أنس، عن طريق ثلاثة ممن رحل إليه من هذه البلاد:

1. أبو الحسن، علي بن زياد العبسي الطرابلسي: محدث واسع الرواية مع علم بنقد الرجال وضبط للرواية، ونباهة في الفقه، ولد بطرابلس، ثم سافر إلي تونس[86]، ومنها إلي الحجاز, حيث سمع من الإمام مالك الموطأ, وأخذ عنه أقواله، وتفقه عليه, بل وناقشه أصوله، رجع إلي القيروان, وجلس للتدريس هناك، وكثر تلاميذه، واشتهر أمره، وسافر علي إثر ذلك إلي تونس، واجتمع عليه الناس ،اعتبرت روايته للموطأ أول رواية ظهرت على وجه الأرض، أول من أدخل الموطأ إلي إفريقية, وهو

([83]) . يُنظر:مدرسة الحديث(424/1)،والحياة العلمية في إفريقية(206/1)، والرحلات المغربية والأندلسية:ص(259).

([84]) . هو: مالك بن أنس، أبو عبد الله: الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، فقيه الأمة، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة توفي سنة(179هـ)، من آثاره: "الموطأ" في الحديث، و"غريب القرآن". ترجمته في: طبقات علماء الحديث(312/1)، وتذكرة الحفاظ(207/1)، وغاية النهاية(35/2).

([85]) . يُنظر مدرسة الحديث(505/2).

([86]) تُونِسُ: مدينة كبيرة من مدن المغرب الأدنى على ساحل البحر المتوسط عمرت على أنقاض مدينة (قرطاجة)،بنى عبيد الله بن الحبحاب جامعها وبنى فيها دار صناعة للسفن سنة(114هـ) ينسب إليها كثير من العلماء .يُنظر: الاستبصار : ص(120)، و معجم البلدان(2/ 60).

أول من فسر للمغاربة قول مالك.وله أثر كبير في الحياة العلمية بإفريقية وهو مؤسس المدرسة المالكية بها [87].

2. أبو عبد الله محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي: محدث ، فقيه، ثقة، مشهور، لم تذكر المصادر شيئا من تواريخ وفاته ورحلته . غير أنه ارتحل إلى الشام والحجاز. وإنما ذكروا أنه كان له سن وإدراك، وقابل الإمام أنس بن مالك، وسمع منه الموطأ، وذكر أن موطأه يمتاز على غيره من الموطآت باشتماله على جامع الجامع، وليس ذلك عند أحد غيره من رواة الموطأ[88].

3. محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي قابل الإمام مالك، وروى الأحاديث عنه، وعن عدد من علماء المشرق [89].

المطلب الثاني: الصلة بمراكز العلم في المغرب[90].

كان للاتصال العلمي المستمر في العصر الوسيط بين إقليم طرابلس والمناطق المجاورة له، مثل العاصمة تونس، والقيروان، وبجاية[91]، وتلمسان[92]، وقسنطينة[93] في جميع أنواع المعارف والفنون

([87]) . سمع أيضا من سفيان الثوري، ومن الليث بن سعد، ومن ابن لهيعة، وغيرهم، وسمع بإفريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران، اشتهر من تلاميذه ثلة منهم: سحنون بن سعيد, والبهلول بن راشد, وأسد بن الفرات، توفي سنة (183هـ). ترجمته في: طبقات الفقهاء: ص(152)، وترتيب المدارك (80/3)، وطبقات علماء إفريقية :ص(251).

([88]) . سمع من أبي معمر ومالك بن أنس موطأه، ومن الليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، وسمع منه بكر بن حماد، وفرات بن محمد. ترجمته في: رياض النفوس (290/1)، وترتيب المدارك(323/3).

([89]) . منهم: ابن لهيعة، وأبي معمر وابن أبي حازم، وإبراهيم بن أبي يحيى. ترجمته في: ترتيب المدارك(323/3)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص(333)، والحياة العلمية في إفريقية (206/1).

([90]). يُنظر: مدرسة الحديث(458/1)، ورقات عن الحضارة العربية الإفريقية:(263)، ، والتواصل العلمي بين طرابلس وتونس: ص(115)، والحياة الاجتماعية في اقليم طرابلس: ص(109)

([91]). بِجَايَةَ : مدينة على ساحل البحر بالقطر الجزائري، أول من اختطها الناصر بن زيري بن مناد في سنة(457هـ). يُنظر: الاستبصار: ص(180)، ومعجم البلدان(1/ 339).

([92]). تِلِمْسَان: وقيل اسمها: تنمسان، وهي مدينة بالمغرب الإسلامي، وتقع في الغرب الجزّائري، ومنها إلى وهران مرحلة. يُنظر: معجم البلدان(44/2).

والآداب، وتبادل المؤلفات وانتقال العلماء والطلبة والكتب والإجازات، الدور الأكبر في ازدهار الحياة العلمية بالإقليم، وكذلك مرور الكثير من المرتحلين بطرابلس وتأثرهم وتأثيرهم بها، وأيضا ما أحدثته الهجرات المتبادلة بين الإقليم ومناطق المغرب، واستقرار لفيف من العلماء في كثير من مناطق الإقليم، أو هجرة بعض العلماء منه واستقرارهم في المناطق المجاورة، كل ذلك كان من العوامل التي ساعدت في تعزيز التواصل والتبادل العلمي.

وسأذكر فيا يلي بعض النماذج التي مثلت هذه الصلة[94]:

الصلة بمدرسة الحديث في القيروان وتونس: كانت تونس والقيروان من أكثر مراكز الإشعاع العلمي أهمية بالمغرب، وحركة التواصل العلمي بين طرابلس وتونس والقيروان في العصر الوسيط كانت من أكبر حلقات التواصل العلمي للإقليم في تلك الفترة. وقد مثل الصلة بهذين المركزين جماعة من العلماء، منهم:

1. محمد بن معاوية الحضرمي، الطرابلسي، نزيل القيروان.

2. أشهر من مثل هذه الصلة، هو: المحدث أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العِجلِّي الكوفي، الأطرابلسي، كان حافظا دينا صالحا انتقل إلى بلاد المغرب فسكن طرابلس وانتشر حديثه هناك، وهو أحد الحفاظ المتقنين، ومن أئمة عصره في الحديث والبصر بالرجال، له كتاب تاريخ الثقات، وكتاب الجرح والتعديل، وقد سمع منه جماعة من أهل القيروان ومن الوافدين عليها، وأخذوا عنه علم الرجال[95].

3. علي بن أحمد بن زكريا الخصيب، المعروف بابن زكرون الأطرابلسي.

([93]) قُسَنْطِينَة: مدينة كبيرة ،وهي من أقاليم مملكة تونس الأربعة، تقع اليوم الجزائر (في الشرق منه)، وكانت لها قلعة كبيرة عالية حصينة. يُنظر: الاستبصار: ص(165)، ونزهة الأنظار(1/ 83).

([94]) يُنظر: مراكز الثقافة في المغرب: ص(118)، و مدرسة الحديث(457/1)،والتواصل العلمي بين طرابلس وتونس: ص(115)، والحياة الاجتماعية في اقليم طرابلس: ص(109)، وهجرة بعض العلماء الليبيين إلى تونس: ص(17)

([95]) منهم: سعيد بن إسحاق، وبكر بن حماد، وسعيد بن الحداد، ومالك بن عيسى، ومحمد بن بسطام، نشأ ببغداد وسمع بها وبالكوفة وبالبصرة، توفي في طرابلس سنة(261هـ). ترجمته في: تاريخ بغداد(349/5)، والأنساب: ص(301).

4. أبو محمد، عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي، اشتهر في الفقه وفروعه، والحديث، والفلسفة الإسلامية، وعني بفن القراءات السبع[96].

5. أبو محمد عبد المجيد (أو عبد الحميد) بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي، فقيه مالكي نشأ في بيت من البيوتات العريقة في طرابلس، ودرس في مساجدها ومدارسها، رحل إلى المشرق مرتين، وتتلمذ على أشهر علمائه، وأظهر ميلا نحو التصوف والحديث وأصول الفقه،من أشهر أعماله تأسيس المدرسة المستنصرية بطرابلس سنة(658هـ) [97].

6. أبو اسحاق، إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي، من أهل طرابلس، امتاز بمعرفته لغريب اللغة، وغريب الحديث وحسن التأويل، إلى جانب فصاحته وطلاقة لسانه[98].

المطلب الثالث: كأنموذج الإمام أحمد بن نصر الداودي، من خلال كتابه" النامي في شرح الموطأ".

لقد كان لعلماء ليبيا المالكيين، وخصوصا إقليم طرابلس كغيرهم من علماء الأقطار الإسلامية إسهاما في خدمة السنة النبوية، وتوثيق الحديث النبوي والعمل على تصحيحه وتدوينه، وقد كان من بين هؤلاء العلماء وأبرزهم الإمام الداودي، الذي كان له أثر كبير في خدمة المذهب المالكي على مر العصور ليس في ليبيا فحسب بل في غيرها من بلدان الغرب الإسلامي، عرف بموسوعيته وسعة اطلاعه في علوم شتى منها علم الحديث الذي أسهم فيه من خلال شرحيه على البخاري والموطأ،

([96]). قرأ على يحيى بن محمد البرقي الصوفي القراءات السبع، والحديث وتفقه عليه. توفي بالقيروان سنة(646هـ). ترجمته في: أعلام ليبيا: ص(226)، والنشاط الثقافي في ليبيا: ص(142)

([97]). استعان به الحفصيون في القرن (7هـ) عندما نقلوا التعليم من جامع القيروان إلى جامع الزيتونة، ونظرا لمكانته العلمية قلد قضاء الجماعة بتونس، والخطابة بالجامع الأعظم، له مصنفات جليلة، توفي بتونس سنة (684هـ). ترجمته في: الديباج المذهب(25/2)، والتذكار لابن غلبون: ص(175).

([98]). هاجر إلى القيروان، وأصبح خطيب مسجدها القيروان، ومنها انتقل إلى مدينة تونس ناشرا علمه بين طلابها. توفي سنة (704هـ). ترجمته في: المنهل العذب: ص(158)، وأعلام ليبيا: ص(53)، والنشاط الثقافي في ليبيا: ص(146).

فتلقف العلماء أقواله واجتهاداته بالقبول، وكثرت عنه النقول وعد مرجعا يرجع إليه العلماء[99]. فما هي هوية الداودي، وتفاصيل حياته العلمية، ومنتّجه العلمي.

اولاً: ترجمة الداودي ومكانته[100]: اسمه ونسبه وكنيته:

هو شيخ الاسلام، وإمام علماء الشريعة المجتهدين: أَحْمَدُ بنُ نَصْرٍ الدَّاوُدِيُّ الْأَسَدِي، المسيلي[101]، الطرابلسي، التلمساني المالكي. فهو المسيلي مولدا، الطرابلسي نشأة ومستقرا [102]، التلمساني وفاة ودفنا، من أئمة المالكية بالمغرب، المجيدين للتأليف، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة[103]، أما كنيته: فهي أبو جعفر، وقد اتفقت كلمة المترجمين حول كنيته إلا أن الزركلي[104] كنّاه بأبي حفص[105] وهو خلاف ما ذكرته المصادر التي ترجمت له، كما أن حاجي خليفة[106] لما ذكره مع أوائل شراح صحيح البخاري أخطأ في اسم والده حيث سماه (سعيد) وهو اسم جده[107].

---

(99). منهم على سبيل المثال: ابن بطال، والإمام الباجي ، وابن رشد، والقاضي عياض، وابن عطية، والقرافي، والقرطبي، وابن حاجب المالكي، والشاطبي، وابن حجر، وغيرهم. يُنظر: شرح البخاري لابن بطال(51/2)، والمنتقى(21/1)، والبيان والتحصيل(540/2)، ومذاهب الحكام: ص(36)، وجامع الأمهات: ص(179)،وتفسير القرطبي(355/2).

(100). يُنظر: ترتيب المدارك(102/7)، وتاريخ الإسلام للذهبي(57/28)، والديباج المذهب(165/1)، وشجرة النور الزكية(164/1)، ومعجم المؤلفين(194/2)، ومعجم أعلام الجزائر: ص(141)، وأعلام ليبيا للزاوي: ص(92).

(101). نسبة إلى المسِيلة : مدينة بالمغرب، وهي المدينة المعروفة بالجزّائر حاليا، وتسمي أيضا المحمدية، نسبة إلى مؤسسها الذي اختطها الخليفة أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، وكان ذلك سنة (315هـ). ينظر: معجم البلدان(130/5).

(102) . عده شوقي ضيف في تاريخ الأدب(7/9) ليبي الأصل، نزيل الجزائر، وكذا قال شواظ في مدرسة القيروان(448/1).

(103). بِسْكِرَةُ، وبَسكَرة: بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقسب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة. يُنظر معجم البلدان(422/1).

(104). هو: العلامة خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزِّرِكلي الدمشقيّ، وهو صاحب كتاب (الأعلام)، وهو من أشهر ما ألف في تراجم الأعلام قديما وحديثا، وأكثرها فائدة.توفي سنة(1396هـ). ترجمته في الأعلام (267/8).

(105). يُنظر الأعلام(264/1).

ثانياً: مولده ونشأته: أما مولده فلم تحدد المصادر التي ترجمت للداودي سنة ولادته، كما ترددت المصادر في الجزم بمكان الولادة وأصل النشأة، فذكرت أن أصله من مدينة المسيلة ومن مواليدها وقيل من مواليد واحة ليانة بأعمال بسكرة حيث يوجد له مسجد ومقبرة يحملان اسمه[108]، وعند وفاته لم يحددوا عمره، لكي تحدد سنة مولده بالتحديد، وعده عياض في الطبقة السابعة من فقهاء المذهب المالكي[109]،
وتبعه في ذلك ابن فرحون[110]، أما ابن مخلوف فقد أدرجه في الطبقة التاسعة[111].

المصادر التي أرخت له لم تسعفنا بتفاصيل تبين حياته الأولى إلا النزر اليسير، كما لم تشر إلى ظروف النشأة، فهو من عائلة متدينة، متوسطة، من أصول عربية، هاجرت من الجزيرة العربية[112]، واستقرت في أفريقية[113] والمغرب العربي. والسكوت عن نشأته ممكن أن يدل على أنها كانت نشأة

([106]) هو: مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي، المعروف بالحاج خليفة: مؤرخ بحاثة، من كتبه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو أفضل ما كتب في فنه .توفي سنة(1067هـ). ترجمته في الإعلام(236/7).

([107]) يُنظر كشف الظنون(541/1).

([108]) يُنظر تاريخ الجزائر العام (361/1).

([109]) يُنظر ترتيب المدارك (102/7). والقاضي عياض هو: عياض بن موسى القاضي، أبو الفضل: عالم المغرب، ومحدث مالكي، من أقدم أهل الحديث في وقته، فقيها أصولياً، عالماً بالتفسير وعلومه، والنحو واللغة، توفي سنة(544هـ). ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات(356/2)، والديباج المذهب(46/2).

([110]) يُنظر الديباج المذهب (165/1). وابن فرحون هو: القاضي برهان الدين إبراهيم بن أبي القاسم فرحون المالكي، كان عالماً بالفقه والنحو والأصول والفرائض والقضاء وبالرجال وطبقاتهم، توفي سنة (799هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة(48/1)، ونيل الابتهاج: ص(30)، وشذرات الذهب(357/6).

([111]) يُنظر شجرة النور الزكية (164/1). وابن مخلوف هو: محمَّد بن محمَّد بن عمر بن قاسم مخلوف الفقيه الأديب، المؤرخ، ولد في مدينة المنستير(بتونس)، عالم بتراجم المالكية، توفي سنة(1369هـ). ترجمته في: الأعلام (82/7).

([112]) قيل: جزيرة العرب مكة والمدينة واليمامة واليمن، والعرج أول تهامة، وقيل: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، والعرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة. وسميت جزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها. يُنظر: معجم ما استعجم(1/ 5)، والروض المعطار ص: (163).

([113]) المقصود بإفريقية هنا هي(تونس)، وإِفْرِيقِيَّة: هو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، وقال البكري: حدّ إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة غربا، وعرضها من

عادية كبقية أقرانه من أبناء عصره، كانت تعتمد على حفظ القرآن وطرفاً من السنة النبوية واللغة وعلومها، ودراسة بعض كتب الفقه المتعارف على تدريسها وتلقيها للناشئة. إلاّ أنّه توسع في طلب العلم بعد ذلك فبدأ بدراسة الفقه المالكي حتى برع وأصبح من المجتهدين فيه، كما درس علوم الحديث ونبغ فيها، يدل على ذلك إقدامه المبكر على شرح صحيح البخاري في كتاب من تأليفه وهو النصيحة كما سيأتي تفصيل ذلك، ودرس علم الكلام والتصوف تدل عليه عناوين كتبه[114].

ثالثاً: وفاته ومكان دفنه: بعد حياة حافلة ومليئة بالجد في طلب العلم والتعلم والتأليف والدفاع عن العقيدة والسنة رجع الداودي واستقر في تلمسان، وبعد مدة من الزمن توفي الداودي مع مستهل القرن (5هـ) في تلمسان. ودفن بباب العقبة أو شرقي باب العقبة، واختلف المترجمون له في ذكر سنة وفاته[115]، لكن جمهور المؤرخين وأكثر المترجمين له على أن سنة وفاته(402هـ 1011م)[116]، وهو الأصح المعتمد.

رابعاً: رحلته العلمية وتأثره بالمناخ الطرابلسي معلما ومتعلما: لم تذكر كتب التراجم . التي ترجمت للإمام الداودي . أية تفصيل عن بدايات تعليمه، أو حياته العلمية قبل أن يهاجر إلى طرابلس الغرب وكل ما ورد فيها هو مجّرد إشارات، أما رحلته العلمية كانت ذات اتجاه واحد بدأت من طرابلس منتقلا إليها من المسيلة وانتهت به في تلمسان، حيث مات هناك، وتعتبر حياته بطرابلس التي مكث فيها مدة طويلة، واستقراره بها رحلة تغير وتطور كان لها أثر كبير في علمه فقد شدّ طوقه من فقه وحديث وتصدّر للإفتاء والتأليف، حتى صار من العلماء الراسخين، وصار طلبة العلم يتوافدون عليه من كل حدب وصوب؛ للنهل من علومه والرواية عنه[117].

البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال متصلة من الشرق إلى الغرب. ينظر معجم البلدان(228/1).

([114]) يُنظر: مقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(30)، ومسالك الإمام الداودي في شرح صحيح البخاري :ص(13).

([115]) ذهب ابن مخلوف إلى أنه توفي سنة(440هـ)، وأبعد الزركلي في تحديده لتاريخ الوفاة بسنة(307هـ).يُنظر:شجرة النور الزكية (164/1)، والأعلام(264/1).

([116]) يُنظر على سبيل المثال: ترتيب المدارك(104/7)، ومعجم المؤلفين(194/2)، والفكر السامي(147/2).

([117]) يُنظر:تاريخ الاسلام (41/9)،ومعجم أعلام الجزائر: ص(141)، ومقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(44).

كما لا يبعد أن يكون الداودي قد انتقل إلى القيروان، ولم تكن بعيدة عن طرابلس مستقر الداودي، ولا عن تلمسان التي قضى فيها آخر سنواته، وذلك للتزود من علم علمائها كما هو معهود من مسلك طلبة العلم في ذلك العصر[118]، إلا أن سكوت المترجمين عن ذكر مسألة دخوله القيروان ربما يعود لقصر المدة التي أقام فيها، أو لكونها لم تكن مقصودة في رحلته، هنا أود أن أشير إلى ما جاء في كتاب (مدرسة الحديث بالقيروان) عند الحديث عن الصلات العلمية بين القيروان وباقي حواضر الغرب الإسلامي، فنجد الإشارة إلى أن الداودي كان من العناصر المهمة التي نسجت الصلة بين القيروان والجزائر؛ في حين يسقط الداودي من جملة العلماء الذين مثلوا التواصل العلمي بين القيروان وطرابلس الغرب [119].

ثم رحل الدوادي عن طرابلس إلى تلمسان، وقد يكون ذلك في آخر حياته وعند انتفاضة افريقية على الدولة العبيدية مدة حكم الحاكم (388هـ)، سكتت جميع المصادر وكتب التراجم الذين تعرضوا لحياة الداودي عن ذكر حياته في طرابلس رغم تأثره وتأثيره بالبيئة الطرابلسية العلمية، وعن ذكر شيوخه الذين تلقى عنهم العلم، وتتلمذ عليهم، وأجمعوا في المقابل على أن ماوصل إليه من علم، إنما كان بجهده وطموحه وبإدراكه وذكائه وعصاميته، وأنه لم تكن له رحلات لطلب العلم، ولا يمكن أن نستبعد استفادته من علماء طرابلس على وجه الخصوص، وعلماء ليبيا والمغرب العربي على وجه العموم، وأنه وجد ونشأ وتعلم في بيئة علمية هامة كانت لها علاقات ببيئات وأوساط علمية كبيرة اتصل بها الداودي علانية أو خفية ولولا تأثير هذه البيئة وشيوخه الليبيين في مساره العلمي، ماوصل الداودي إلى ما وصل إليه، لكن ظروف المنطقة كانت عامل أساسي في ضياع الكثير عن هذا العالم، مما ساهم في إغفال وتغافل عن ذكره وذكر شيوخه[120].

([118]). فقد نقل ابن بشكوال في كتابه أن من تلاميذ الداودي ـ كابن الفرضي ـ من سمع منه وأخذ عنه بالقيروان. وأيضا ما ذكره القاضي عياض في ترجمته لأبي بكر عبد الله بن أبي زيد وأخيه من أن الداودي قد كتب عنهما ولم يكن بالطائل المعرفة، ولم يذكر عنهما أنهما انتقلا إلى طرابلس ولا إلى تلمسان، فدل هذا على التقائهما به في القيروان. فهذا تصريح واضح الدلالة في دخول الداودي إلى القيروان . يُنظر: الصلة: ص(246)، وشجرة النور الزكية (164/1).

([119]) . يُنظر مدرسة الحديث بالقيروان(448/2) .

([120]) . يُنظر رحلة التيجاني: ص(237، 264)، ومقدمة كتاب الأموال لشحادة (42).

خامسا: ثناء العلماء عليه: تسنم الإمام الداودي مكانة علمية مرموقة واشتهر بصفته محدثا ناقدا، وفقيها بارعا، ومناظرا ثاقبا، ومؤلفا مجتهدا، وأصوليا متبصرا، فحظي بتقدير وثقة وثناء أهل العلم و الفضل، نذكر منهم: القاضي عياض، وصفه بأنه: فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيدا[121]، وايضا قال عنه الذهبي: وكان ذا حظ من الفصاحة والجدل[122]. أما عن دقته العلمية وضبطه في النقل فعده الخزاعي مع جملة العلماء المحققين في النقل [123]. وقال عنه الحجوي الثعالبي[124]: فقيه متقن فاضل مشارك في الحديث والنظر واللسان. ووصفه الجيلالي بأنه شيخ الإسلام وإمام علماء الشريعة المجتهدين[125].

سادسا :تراثه وآثاره العلمية واجتهاداته الفقهية: تبوء الإمام الداودي مكانة علمية مرموقة؛ لنبوغه وتعدّد فنونه واختصاصه، وقد شهد له من ترجم له بأنه مصنف بارع قدير، وكان أثر ذلك أن خلّف تركة وتراثا علميا هاما، تنوع بين الفقه، والحديث، والاصول، والتفسير، وعلم العقيدة، ويكفيه فخرا أنه من أوائل من شرح أعظم كتابين في الحديث النبوي: موطأ مالك، وصحيح البخاري. ومؤلفاته فقد أغلبها مع معظم المخطوطات النفيسة، ولم يتبق منها سوى النقول الشاهدة على دقة فقهه وعلمه.

. مؤلفاته التي ذكرتها وحصرتها كتب التراجم والفهارس، هي:

في العقيدة: الإيضاح في الرد على البكرية[126]: وهو كتاب مفقود، وقد جاء ذكره بـ" الايضاح في الرد على القدرية" في مصادر أخرى[127].

([121]) يُنظر ترتيب المدارك (7/ 103).

([122]) يُنظر تاريخ الاسلام (57/28).

([123]) يُنظر تخريج الدلالات السمعية: ص (621).

([124]) يُنظر الفكر السامي (147/2). والثعالبي هو: العلامة محمد بن الحسن بن العربيّ الحجوي الثعالبي الفلالي: من رجال العلم والحكم، من المالكية السلفية في المغرب، له كتب مطبوعة، توفى سنة(1376هـ). ترجمته في الأعلام(96/6).

([125]) يُنظر تاريخ الجزائر العام(361/1).

([126]) يُنظر: تاريخ الإسلام (57/28). والبكرية هم: أصحاب بكر بن أخت عبد الواحد بن يزيد، ويقال له: بكر بن زياد الباهلي. من مذهبه أن الكبائر من أهل القبلة نفاق، ومرتكبها عابد للشيطان، وهو مع ذلك مسلم مؤمن والقاتل لا توبة له. يُنظر: مقالات الإسلاميين: ص(286)، والفرق بين الفرق: ص(200).

([127]) يُنظر: ترتيب المدارك(7/ 103)، والديباج المذهب(1/ 166)، ومُعجم أعلام الجزائِر: ص(141).

في الأصول: كتاب الأصول: لعله في أصول المذهب المالكي، وهو مفقود[128].

في الحديث والفقه: أ ـ كتاب النصيحة في شرح البخاري: وهو أول شرح على الجامع الصحيح للإمام البخاري ، وقد أثبت هذا العنوان كثير من العلماء[129]، وهو في عداد الكتب المفقودة التي لم يصلنا منها إلا ما نقله عنه شراح البخاري بعده، فأسهموا في حفظ كثير من نصوصه[130].

ب ـ **النامي في شرح الموطأ**، وسأعرض لهذا الكتاب ومنهجه .

ج ـ **الواعي في الفقه**: وهو كتاب شامل مستوعب في تحرير مسائل المذهب المالكي، وهو مفقود[131].

د ـ **كتاب البيان**: مفقود[132].

هـ ـ**كتاب الأسئلة والأجوبة في الفقه**[133]:وهو مخطوط بجامع الزيتونة في تونس تحت رقم (10486)[134].

ز ـ **كتاب في تفسير القرآن**: وهو مفقود، : تداوله العلماء ونقلوا عنه[135].

ح ـ**كتاب الأموال**[136]: من أوائل الكتب التي ألفت في موضوع الفقه والمالية و الاقتصاد الإسلامي، كتبه الداودي في طرابلس[137] وأملاه على تلاميذه قبل أن يرحل إلى تلمسان، وقد نال

([128]) يُنظر: ترتيب المدارك(103/7)، ومقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(33)، وموسوعة الداودي (78/1).

([129]) يُنظر: ترتيب المدارك(103/7)، والمعجم المفهرس(398/1)، وكشف الظنون (541/1)، والحطة: ص (184).

([130]) على رأسهم: ابن حجر العسقلاني في كتابه: فتح الباري، فقد نقل عنه في أكثر من أربعمائة موضع، كما نقل عنه أيضا ابن التين في شرحه للبخاري، والعيني في عمدة القاري، والزرقاني في شرح الموطأ، والقرطبي في تفسيره، وغيرهم. يُنظر: مقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص (33)، وموسوعة الداودي(110/1).

([131]) يُنظر: ترتيب المدارك(103/7)،والديباج المذهب(166/1)،وشجرة النور الزكية(164/1).

([132]) يُنظر: ترتيب المدارك(103/7)، و مقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص (7).

([133]) ذكره العلمي في نوازله(9/1)، و(266/2) وسماه : "أجوبة الداودي".

([134]) يُنظر: تاريخ التراث العربي لسزكين (126/2)، ومقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(33).

([135]) منهم: عبدالرحمن الثعالبي في تفسيره" الجواهر الحسان". يُنظر: مقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(33) وتاريخ الجزائر العام(273/1)، ودور ليبيا في نشر المذهب المالكي، لحمزة أبوفارس.

هذا الكتاب شهرة، وحظي باهتمام كثير من الباحثين والمثقفين في العصر الحديث؛ فحقق وطبع عدة مرات[138].

نلاحظ من هذا السرد لمؤلفات الإمام الداودي فقدان معظمها، وهذ الفقد ارجعه معظم البحاث للأحداث السياسية في أواخر القرن(6هـ)، عندما أحرقت وأخفيت كثير من الكتب الفقهية والحديثية [139].

من آثاره كأنموذج "كتاب النامي في شرح الموطأ ": في هذا الفرع سأتناول بالدارسة التعريف بكتاب " **النامي في شرح الموطأ** " للإمام الداودي، من خلال بيان اسمه، ومكان التصنيف، ثم أخلص إلى إيجاز أهم خصائص منهج الداودي في كتابه.

1. : اسم الكتاب، ومكانه، وأهم خصائص منهج الداودي في كتابه، وأهميته.

تسمية الكتاب ونسبته للداودي: ذكرت أغلب المصادر والمراجع وفهارس الكتب القديمة والحديثة **كتاب النامي في شرح الموطأ**[140]، ضمن مؤلفات الداودي، ونسبته إليه[141]، من أوائل ما ألف وأملا الإمام الداودي في طرابلس، قال ابن فرحون: "كان بطرابلس، وبها أصل كتابه في شرح الموطأ"[142]، إلا أنه مفقود لاتُعرف نُسخُه، وقد كان الظن أن منه مخطوط بخزانة القرويين[143]

([136]). يُنظر ترتيب المدارك(103/7)، والبيان والتحصيل(594/2)، و المعيار المعرب(172/2)،(408/10).

([137]). يُنظر تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (9/ 7، 71).

([138]). حقق لأول مرة سنة 1988م، من قبل رضا شحادة، ثم حقق مرة أخرى من قبل محمد شلبي سنة 2001م، وحقق ثالثة من قبل: د. محمد أحمد سراج، ود. علي جمعة محمد، تحت إشراف مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية.

([139]). يُنظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص(202)، ومقدمة كتاب الأموال لشحادة: ص(33).

([140]). ذكره: القاضي عياض في ترتيب المدارك(103/7) باسم: القاضي في شرح الموطأ، لعله أصل لكتاب النامي، أو اختصار له، أو كتاب آخر، وفي تخريج الدلالات السمعية:ص(615)، وفي التراتيب الادارية للكتاني(48/1): الاكتفاء في شرح الموطأ، وهذا خطأ.

([141]). ذكر بعنوان آخر وهو: تفسير الموطأ. يُنظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص(76)، والديباج المذهب(166/1)، وشجرة النور الزكية(164/1)، وخزانة التراث – فهرس مخطوطات(62/ 140) رقم(62372).

([142]). الديباج المذهب(165/1).

([143]). يُنظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان(227/3)، وتاريخ التراث لعربي لسزكين(134/1).

تحت رقم "175/527" نُسخة واحدة مبثورة الأول والآخر مكتوبة بخط أندلسي جميل لا يوجد فيها تاريخ تدوينها ولا اسم ناسخها وهي عتيقة جدا[144]. وحمل عنه كتابه هذا تلميذه أبو عبدالملك مروان البوني[145]، وقد نقل القاضي عياض سنده في الموطأ إلى الإمام أحمد بن الداودي، حيث ذكر أن شيخه حدّثه بكتاب أحمد بن نصر الداودي عن أبي عبد الملك البوني عنه[146].

. أهم خصائص منهجه في كتابه[147]: سلك الإمام الداودي في كتابه النامي المنهج التالي: فقد استعرض الأحاديث أولا بدون ذكر الإسناد، ثم يشرح كل حديث على حده، بدون ذكر الواسطة بينه وبين مالك، وقد اعتمد على شرح الكلمات اللغوية، ووجوه إعرابها.

. يذكر الحديث، ثم يشرحه، ويذكر آراء علماء المالكية.

. يعتني بأصول الكلمة في اللغة، وكثيرا ما يربط معاني الألفاظ بشعر العرب القديم كالنابغة الذبياني[148].

. يذكر آراء الأعلام في الذهب المالكي وفي كل حديث وهو يعد موسوعة حديثية فقهية لمذهب مالك، بل أن جل العلماء من المالكية يعتمدون عليه اعتمادا كبيرا في شروحاتهم على الموطأ، ويعد هذا الكتاب من النوادر في الفقه المالكي.

. التزامه بشرح الألفاظ اللغوية، والمصطلحات الفقهية.

. الكلام عن وجه مناسبة الأحاديث للترجمة.

([144]). السليماني محقق كتاب (المسالك في شرح موطأ مالك) نفى أن تكون هذه النسخة المشار إليها بوصفها ورقمها للداودي وأثبتها لتلميذه البوني ، وكذا فعل د.عبدالعزيز دخان، في موسوعته عن العلامة الداودي، وأشار إلى تحقيقه هذا الكتاب. يُنظر مقدمة كتاب المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك(197/1)، وموسوعة الإمام الداودي(113/1).

([145]). هو: مروان بن علي القطان، أندلسي الأصل، سكن بونة من بلدات الجزائر ،له كتاب في شرح الموطأ رواه عنه الناس، توفي قبل(440 هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك(259/7)، والأنساب (364/2).

([146]). يُنظر: الغنية: ص(106)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي: ص(76).

([147]). يُنظر: كتاب الأموال(33/1)، وموسوعة الإمام الداودي(113/1)، و

([148]). هو: زياد بن معاوية الدبياني، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ، توفي حوالي(18 ق.هـ). ترجمته في: طبقات فحول الشعراء(1/51)، والشعر والشعراء :ص(157).

. إيراد الفوائد الإسنادية الحديثية، ومنها: الكلام عن الاتصال والانقطاع، وبيان العلل الواقعة في بعض الأسانيد، والحديث عن رجال الإسناد، وضبط أسمائهم وأوصافهم، وتسمية مبهميهم.

. ضبط متن الحديث، وشرح غريب ألفاظه.

. الكلام على فقه الحديث، وضمنه يوفق الداودي بين مختلف الحديث، بالجمع، أو بالنسخ، أو بالترجيح، ويستنبط الفوائد الفقهية وغيرها، ويحكي آراء الفقهاء والعلماء.

يمكن القول أن شرح النامي، كان يغلب عليه التركيز على الجانب اللغوي، والاهتمام باستنباط الأحكام الشرعية، والفوائد العملية.

أهمية الكتاب: عُرف الداودي بالإمامة والاجتهاد، فكان ذا حظ وافر من المعرفة والتبحر فيها، والتفقه في معانيها، مما جعل كثيرا من العلماء سواء كانوا محدثين أو فقهاء، دائما ما يعتمدون عليه في شروحهم وفتواهم، من أمثال ذلك على سبيل المثال لا الحصر[149]: الإمام الباجي[150]في المنتقى شرح الموطأ حيث أكثر من نقل أقوال الإمام الداودي والاستدلال بها، وقد بلغت المواضع عنده(44) موضعا[151].

الإمام السيوطي[152] في تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، فقد رجع إليه في أزيد من عشرة مواضع أثناء شرحه لأحاديث الموطأ[153].

والإمام الزرقاني[154] في شرح الموطأ[155].

([149]). ومنهم أيضا: ابن عبدالبر في البيان والتحصيل(561/2)، وابن رشد الجد في مسائل أبو الوليد: ص(358)، وأبو عبدالله الحطاب، مواهب الجليل(152/1)، وابن جزي في القوانين الفقهية: ص(79)، وابن الوليد الشبلي، التقسيم والتبين: ص(18)، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري(17/5)، وكثيرا ما يسميه بـ(الداودي الشارح).

([150]). هو: سليمان بن خلف بن سعد القرطبي أبو الوليد الباجي فقيه مالكي، أصولي محدث متكلم شاعر ومفسر، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (474هـ).ترجمته في: الذخيرة(93/3)، والصلة: ص(197).

([151]). يُنظر المنتقى(21/1،11)وغيرها من المواضع.

([152]). هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف . توفي سنة (911 هـ). ترجمته في: الضوء اللامع (65/4)، والكواكب السائرة(227/1)

([153]). يُنظر تنوير الحوالك(146/1).

([154]). هو: محمد عبد العظيم الزرقاني ، أبو عبد الله، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، توفي سنة(1367هـ). ترجمته في: الرسالة المستطرفة: ص(191)، والأعلام (210/6).

والمناوي[156] في شرحه على الجامع الصغير[157].

والإمام الشوكاني[158] في كتابه نيل الأوطار، كثيرا ما يعتمد عليه في أراء العلماء، خاصة وأن الداودي لا يمثل المذهب المالكي فحسب، ولكن يمثل اجتهاداته الشخصية للحديث، واستنباطه للحكم الشرعي[159].

ولم ينقطع هذا الاهتمام من العلماء بشرح الداودي، حيث استمروا في الاستفادة من شرحه، ونقل أقواله إلى عصور قريبة.

جمع بعض من آراء وأقوال واجتهادات الإمام الداودي في الحديث وعلومه:

من خلال ما أورده بعض العلماء من أقوال للداودي، ومن خلال ما ورد في كتبه الأخرى، يظهر أن للداودي آراء كثيرة تتعلق بالحديث وعلومه، وفي بعض هذه الأقوال من الجرأة مايدل على مكانته العلمية واطلاعه الواسع، مثلما أورد ابن الحاجب[160] قول للداودي يبين فيه مخالفته رأي إمامه واعتذاره عنه بأن الحديث لم يبلغه ، فقال : وَكَرِهَ مَالِكٌ صِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَإِنْ وَرَدَ، لِلْعَمَلِ، وَأَجَازَ مَالِكٌ صَوْمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُنْفَرِداً[161]، قَالَ الدَّاوُدِيُّ: لَمْ يَبْلُغْهُ الْحَدِيثُ[162].

ولئن كنا لا نجد هذه الآراء والأقوال مجموعة أو مرتبة في كتب معينة؛ إلا أننا نظفر بها منثورة ومبثوثة في مختلف الأبواب الحديثية، من دواوين وأمهات كتب الحديث، والفقه المالكي والنوازل. ولئن بقى كتاب النامي في شرح الموطأ في رحم الغيب، فإن كثرة من العلماء، قد أدوا لنا خدمة عظيمة؛ بحفظ

([155]) يُنظر شرح الزرقاني (22/3).

([156]) . هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين، زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون. له نحو ثمانين مصنفا، توفي سنة(1031 هـ). ترجمته في الأعلام(204/6).

([157]) يُنظر فيض القدير(129/2) .

([158]) . هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. له (114) مؤلفا، توفي سنة(1250 هـ). ترجمته في: البدر الطالع(2/ 214)، والأعلام(6/ 298).

([159]) يُنظر نيل الأوطار(192/8).

([160]) هو: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس بن الحاجب فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية، توفي سنة (646هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء(264/23)، والبداية والنهاية(178/13).

([161]) رواه مالك في الموطأ(3/ 447) رقم(1103)، و(448/3) رقم(1104)، كِتَابُ الصِّيَامِ، جَامِعُ الصِّيَامِ.

([162]) يُنظر جامع الأمهات: ص(178).

كثير من نصوص هذا الشرح[163]، وهنا سأكتفي اختصارا بذكر بعض النماذج من آراء وأقوال واجتهادات الداودي في الحديث وعلومه:

الأنموذج الأول: عن أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[164]، أنها سألت أُمُّ سَلَمَةَ [165]، زوج النبي ـ ﷺ ـ ، فقالت: إِنِّي امْرَأَةٌ أُطِيلُ ذَيْلِي، وَأَمْشِي فِي الْمَكَانِ الْقَذِرِ. قالت أُمُّ سَلَمَةَ: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:" يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ "[166]. قوله:" يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ". قال الداودي: وقد قال بعض أصحاب مالك بظاهر الحديث ورووه في الرطب واليابس فأما من ذهب إلى أنه في القشب اليابس فإن القشب اليابس لا ينجس الثوب مجاورته فلا يحتاج إلى تطهيره فكذلك إذا مر الثوب على أرض يابسة فإنه لا يحتاج إلى تطهيره لأنه لا ينجس بمروره ذلك[167].

الأنموذج الثاني: عن أبي هريرة[168]، أن رسول الله ـ ﷺ ـ، خرج إلى المقبرة ، فقال: " السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لاَحِقُونَ. وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا "، فقالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: " بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ "، فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: " أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ، مُحَجَّلَةٌ، فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟" قالوا: بلى، يا رسول الله، قال:" فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، غُرّاً مُحَجَّلِينَ، مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ[169] عَلَى الْحَوْضِ. فَلاَ يُذَادَنَّ رَجُلٌ عَنْ

([163]). يُنظر موسوعة الداودي(145/1) .

([164]). هو: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو إسحاق، سمع أباه والزهري، سمع منه جماعة، توفي سنة(183هـ).ترجمته في الهداية والإرشاد(51/1).

([165]). هي: أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة القرشية ، زوج النبي ـ ﷺ ـ ، وهي ممن أسلمت قديمًا وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا ـ رضي الله عنها ـ ، توفيت سنة (61هـ). ترجمتها في: الاستيعاب (1939/4).

([166]). الموطأ(2/ 33)، رقم الحديث(65)، كتاب: الوضوء، باب: مَا لاَ يَجِبُ مِنْهُ الْوُضُوءُ.

([167]). يُنظر المنتقى(64/1).

([168]). هو: أبو هريرة الدوسي، صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ وأكثرهم حديثاً عنه، قيل كان اسمه في الإسلام: عبد الرحمن، أو عبد الله، أسلم يوم خيبر، روى عنه الكثيرُ من الصحابة. توفي سنة (57هـ). ترجمته في الإصابة(498/6).

([169]). الفرط، والفارط هو متقدم القوم إلى أي شيء أرادوا، والفرط أيضا ما أصيب به الرجل من ولده وحميمه، فالفرط: المتقدم على أي حال كان. يُنظر تهذيب اللغة(225/13)، والغريبين في القرآن والحديث(1436/5).

حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: فَسُحْقاً. فَسُحْقاً. فَسُحْقاً "[170]. قوله:(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لاَحِقُونَ)، روى الداودي أن معنى قوله (إِنْ شَاءَ اللهُ): كما شاء الله[171].

قوله: (فسحقا): قال الداودي: ليس هذا مما يختم به للمذادين عنه بدخول النار لأنه يحتمل أن يذادوا وقتا فتلحقهم شدة، ثم يتوفاهم الله برحمته، ويقول لهم النبي ﷺ. سحقا ثم يشفع فيهم[172]

الأنموذج الثالث: عن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، جلس على المقاعد. فجاءه المؤذن فآذنه بصلاة العصر. فدعا بماء فتوضأ. ثم قال: وَاللهِ لأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثاً، لَوْلاَ أَنَّهُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ. يَقُولُ: "مَا مِنِ امْرِىءٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلاَةَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ الْأُخْرَى حَتَّى يُصَلِّيَهَا"[173]. قوله: (أن عثمان بن عفان جلس على المقاعد) وهو موضع عند باب المسجد بالمدينة، وقال مالك: المقاعد الدكاكين عند دار عثمان، وقال الدوادي هو المدرج[174].

الأنموذج الرابع: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كتب إلى عماله: إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلاَةُ، مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا، حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا، فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ[175]. قوله:(إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلاَةُ، مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا، حَفِظَ دِينَهُ)، قال الداودي: (يروى: من حفظها أو حافظ عليها وإن ذاك شك من الراوي)[176].

([170]). الموطأ(2/ 38)، رقم الحديث(82)، كتاب: الطهارة، باب: جَامِعُ الْوُضُوءِ.

([171]). يُنظر المنتقى(69/1): قال الباجي: وقوله وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يحتمل معاني أحدها...) ثم ذكرها.

([172]). يُنظر: المنتقى(70/1)، والمسالك(108/2)، وتنوير الحوالك(1/ 40).

([173]). الموطأ(40/2)، رقم الحديث(83)، كتاب: الطهارة، باب: جَامِعُ الْوُضُوءِ.

([174]). يُنظر المنتقى(71/1).

([175]). الموطأ(9/2)، رقم الحديث(9)، كتاب: وقوت الصلاة.

([176]). يُنظر المنتقى(1/ 11)، قال الباجي: والأول أصح.

الأنموذج الخامس:عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ[177]؛ أَنَّهُ كان يقول: مَنِ اسْتَقَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ. وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ[178]. قوله:(مَنِ اسْتَقَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ. وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ)،اختلف في وجوب القضاء على من استقاء، قال الداودي: هو على الوجوب[179].

الأنموذج السادس: عن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ[180]؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَوْقَ رَأْسِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِلَحْيَيْ جَمَلٍ. مَكَانٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ [181].قوله:(احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَوْقَ رَأْسِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِلَحْيَيْ جَمَلٍ)،قال الداودي:(إذا أمكن مسك المحاجم بغير حلق لم يجز الحلق)[182].

([177]). هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي من أهل بيعة الرضوان، وهو شقيق أم المؤمنين حفصة . ﷺ توفي بمكة سنة(74هـ). ترجمته في: أسد الغابة(340/3)، وتذكرة الحفاظ(37/1).

([178]). رواه مالك في الموطأ(3/ 436)، رقم الحديث(1075)، كتاب: الصيام، باب: ما جاء في قضاء رمضان.

([179]). يُنظر المسالِك(4/ 225).

([180]). هو: عالم المدينة ومفتيها، سليمان بن يسار، المدني مولى أم المؤمنين ميمونة وقيل أم سلمة، توفي سنة (107هـ).

ترجمته في: طبقات ابن سعد(2 /293)، وسير أعلام النبلاء(444/2).

([181]). الموطأ(507/3)، رقم الحديث(1274)، كتاب: الْحَجِّ، باب: حِجَامَةُ الْمُحْرِمِ.

([182]). يُنظر نيل الأوطار(5/ 18).

الخاتمة والتوصيات:

أبانت هذه الدراسة أن جهود علماء ليبيا عامة وأهل طرابلس خاصة في حفظ الدّين وحفظ العلوم والاشتغال بها لا تقل درجة عن جهود أهل المشرق أو أهل المغرب، فحرصهم على طلب علوم الحديث وتحصيل الإجازات ساهم بشكل فعّال في تعزيز حركة العلم واستمرارها، وازدهارها، ليس في الإقليم فقط وإنما في غيرها من حواضر دول الإسلام، وقد أفضت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها:

1. أن الرحلات الحجازيّة التي كانت تمرّ بطرابلس نظرا لموقعها مشرقة أم مغربة كان لها دور مهم في نشر العلم من خلال العلماء الذين كانوا بهذه الرحلات، فكانت تعقد جلسات العلم والمناظرة، وتمنح الإجازات لطلاب العلم، وهذا جعل من مدينة طرابلس مركزا علميا، تَهل منه طلبة العلم والعلماء .

2. علماء الإقليم كانوا أكثر تأثيرا في المشرق والمغرب، ووسط القارة الإفريقية وجنوبها، لأنهم كانوا على اتصال كبير بمن جاورهم، ولا يدعون الفرص تمر دون الانتفاع بها وبخاصة أثناء رحلات العلم والحج، وأسفار المنافع المختلفة.

3. إن المادة العلمية المتعلقة بالسنة النبوية بإقليم طرابلس في الفترة الزمنية موضوع البحث، رغم قوة دلالتها على شيوع الحديث والعناية به؛ لكنها قليلة ومشتتة المصادر،فقد تعرض الإقليم في عهود مختلفة للكثير من الكوارث والاضطرابات السياسية، أدت إلى هجرة كثير من العلماء فنتج عنه ضياع أكثر مؤلفات أولئك العلماء، وانقطاع أخبارهم إلا ما ندر في مصادر مغربية ومشرقية متفرقة.

4. الحديث بعلومه المختلفة كان شديد الترابط بالفقه وعلومه عند علماء الإقليم، ويندر أن نعثر على عَلم لم يبرع في عِلْمي الحديث والفقه، بل قد يضيف إليهما علما آخر.

5. كانت المصنفات الحديثية من أهم ركائز السنة وعلومها في الإقليم، فالموطأ، وصحيح البخاري من أشهر الكتب التي تدارسها وشرحها وحفظها أهل طرابلس.

6. العناية والالتفات إلى تراثنا الزاخر، ونفض الغبار عنه، والاهتمام بآراء وفتاوى أعلام ليبيا المبثوثة في شتى كتب العلم.

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وهو جهد المقل، فقد نصيب حيناً، ونخطئ أحياناً كثيرة، ويضل القصور والنقصان سمه من سماتنا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم بالرسم العثماني.

1. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري،(ت: نحو 380هـ)، ليدن، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1411. 1991م.

2 . أحمد زروق والزروقية ، دراسة وفكر مذهب وطريقة "، على فهمى خشيم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس . ليبيا، ط2، 1980م.

3. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض . عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،ط1، 1415هـ . 1994م.

4. الاستبصار في عجائب الأمصار، كاتب مراكشي (ت: ق 6هـ)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

5. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م.

6. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية . بيروت، ط1، 1415هـ

7. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، أيار / مايو 2002 م.

8 . أعلام ليبيا، للطاهر أحمد الزاوي،دار الكتب الوطنية، بنغازي ،ط3، 2004م.

9. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1406 هـ - 1982م.

10. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: 562هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1382 هـ . 1962 م.

11. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت:1250هـ)، دار المعرفة . بيروت.

12. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

13. البلدان، لأحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر اليعقوبي (ت:بعد292هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.

14. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد(ت:نحو 695هـ)، تحقيق ومراجعة:ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال، دارالثقافة، بيروت . لبنان، ط3، 1983 م.

15البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، تحقيق: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط2، 1408 هـ . 1988 م.

16. تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ط1، 1991م.

17. تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (ت:261هـ)، دار الباز، ط1، 1405هـ . 1984م.

18. تاريخ الجزائر العام، لعبدالرحمن الجيلالي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965م.

19. تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف – مصر،ط1، 1960 - 1995 م.

20. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط2، 1413 هـ . 1993م.

21. تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي(ت:403هـ)، عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط2، 1408 هـ .1988م.

22. تاريخ المغرب العربي، سعد زغلول عبدالحميد، منشورات منشأة المعارف، الاسكندرية، 1979م.

23. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لعلي بن محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي (ت:789هـ)،تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط2، 1419 هـ.

24. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.

25 . التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)،تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت.

26. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، تحقيق: جماعة من سنة1965 م . 1983م، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب،ط1.

27. –تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

28. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1 ، 2001م.

29. التواصل العلمي بين طرابلس وتونسفي العهد الحفصي، أحمد مسعود عبدالله، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ـ ليبيا، 2007م.

30. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

31 . جامع الأمهات، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، ابن الحاجب المالكي (ت: 646هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1421هـ - 2000م.

32. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ابن أبي حاتم (ت:327هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1، 1271هـ ـ 1952م.

33. الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة في 2 من جمادى الثانية 1378هـ.

34. الحطة في ذكر الصحاح الستة، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، دار الكتب التعليمية – بيروت، ط1، 1405هـ ـ 1985م.

35. الحياة الاجتماعية والعلمية في إقليم طرابلس، منذ بداية القرن التاسع حتى منتصف القرن العاشر الهجري (801هـ ـ 1390م/ 958هـ ـ 1551م)، د. عبد الحكيم صالح الورفلي،مصر،المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط1، 2019م.

36. الحياة العلمية في إفريقية(المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(450/90هـ)، يوسف بن أحمد حواله، جامعة أم القرى،ط1، 2000م.

37. الحياة العلمية في جبل نفوسة، وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي (خلال القرون2 8حتى 8 14م)، محمود

حسين كوري، منشورات مؤسسة نالوت الثقافية، سلسلة دراسات تاريخية، 2008.

38. حكاية مدينة، طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، خليفة محمد التليسي، ط1997،3م.

39. خزانة التراث – فهرس مخطوطات، قام باصداره مركز الملك فيصل.

40. دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات، لعبد الله محمد الشريف، دار ليبيا للنشر، طرابلس 1987م.

41. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ صيدر اباد/ الهند، ط2، 1392هـ/ 1972م.

42. ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: 1167هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1411 هـ - 1990م.

43. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، (ت: 808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م.

44. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، الطبعة:1.8 ،1979.1981م.
45. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.
46. رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني في ليبيا وبرنو وخليج غينيا، غيرهارد رولفس، 1856 . 1867م، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ليبيا، 1996م.
47. الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، د.عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي، مكتبة الدار العربية للكتاب،ط1، 1996م.
48. الرحلة في طلب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية . بيروت، ط1، 1395.
49. الرحلة المغربية لأبي عبد الله العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط 1968م.
50. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت:1345هـ)، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6، 1421هـ 2000م.
51. الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحِميرى (ت: 900هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980م.
52. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط2، 1414 هـ . 1994 م.

53. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي(ت:1384هـ)،المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، ط3، 1402 هـ – 1982 م (بيروت).

54. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:748هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط3، 1405هـ . 1985م.

55. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي مخلوف(ت: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ – 2003م.

56. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

57. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة، ط1، 1424هـ - 2003م.

58. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ – 2003م.

59. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين . بيروت، ط4، 1407 هـ . 1987م.

60. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: 902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

61. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1403هـ.

62. طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، محمد بن أحمد بن تميم التميمي، أبو العرب (ت: 333هـ)

الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.

63. طبقات علماء الحديث، أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي (ت: 744 هـ)، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان،ط2، 1417 هـ . 1996م.

64. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي(ت:232هـ)،تحقيق: محمود شاكر، دار المدني . جدة.

65. طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم بن منظور(ت: 711هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1970م.

66. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد،(ت: 230هـ)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1410هـ . 1990م.

67. العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

68. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى(ت:832هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998 م.

69. علوم الحديث ومصطلحه – عرضٌ ودراسة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407هـ)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط15، 1984 م.

70. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أحمد بن أحمد بن عبد الله، أبو العباس الغِبْرِيني (ت: 714هـ)، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979 م.

71. غاية النهاية في طبقات القراء،شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: 833هـ)، مكتبة ابن تيمية،عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.

72. الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)

تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1402 هـ - 1982م.

73. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: 401هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي

قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز . المملكة العربية السعودية.

74. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الأسفراييني (ت: 429هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط2، 1977م.

75. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، حمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي (ت: 1376هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1، 1416هـ- 1995م.

76. فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الإشبيلي (ت: 575هـ)

تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، ط1419،1هـ/1998م.

77. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين المناوي (ت: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر،ط1، 1356هـ.

78. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى (ت:817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

79. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي(ت:1332هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان.

80. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة (ت:1067هـ)،

مكتبة المثنى ـ بغداد، تاريخ النشر: 1941م.

81. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997م.

82. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت: 666هـ)،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.

83. مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عيا ض وولده محمد، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي،ط2، 1997م.

84. مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر، عثمان الكعاك، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1970م.

85. مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال(ت: 241هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط1، 1401هـ 1981م.

86. المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري (ت: 543هـ)

قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي
دَار الغَرب الإسلامي، ط1،1428 هـ - 2007 م.
87. المسالك والممالك، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، (ت: 487هـ)، دار الغرب الإسلامي، 1992 م.
88. المسالك والممالك، لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت: نحو 280هـ)، دار صادر أفست ليدن، بيروت، 1889 م.
89. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ.، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
90. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ابن الدباغ عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، (ت: 696 هـ)، تونس، دط، 1901 م.
91. المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت: 647هـ)، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1426هـ - 2006م.
92. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993 م.
93. مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط2، 1400 هـ - 1980 م.
94. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر، بيروت،ط2، 1995 م.
95. معجم البلدان الليبية، الطاهر أحمد الزاوي، كتبة النور، طرابلس، 1968م.
96. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن محمد كحالة (ت: 1408هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414 هـ - 1994 م.
97. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

98. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى . بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ط، د.ت.

99. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيه والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيي الونشريسي (ت:914هـ)، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية . الرباط،1401هـ . 1981م.

100. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

101– مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي بردة (ت: 324هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط3، 1400هـ . 1980 م.

102. المقنع في علوم الحديث، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت: 804هـ)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر – السعودية، ط1، 1413هـ.

103. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: 474هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط1332،1 هـ.

104. منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق . سورية،ط1401،3هـ . 1981 م.

105. موسوعة الإمام العلامة، أحمد بن نصر الداودي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه، د. عبدالعزيز الصغير دخان، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م.

106. الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت:179هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط1، 1425 هـ . 2004 م.

107. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1988 م.

108. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، أحمد بك النائب الأنصاري، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس . ليبيا.

109. دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات، لعبد الله محمد الشريف،دار ليبيا للنشر، طرابلس،1987م.
110. النوازل، للشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي، تحقيق: المجلس العلي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب،1983م، 1986م.
111. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت: 1038هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1405هـ.
112. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن محمد التنبكتي السوداني، أبو العباس(ت:1036 هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس . ليبيا، ط2، 2000 م.
113. نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ - 1993م.
114. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين، أبو نصر الكلاباذي (ت: 398هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة . بيروت، ط1، 1407هـ.
115. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (ت: 1399هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان.
116. ورقات عن الحضارة العربية الإفريقية، حسن حسني عبدالوهاب، جمع وإشراف: محمد المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1971م.
117. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)،دار الفكر العربي.
118. علوم الحديث ومصطلحه - عرضٌ ودراسة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407هـ)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط15، 1984 م.
119. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

ثانياً : الرسائل الجامعية والمقالات والبحوث العلمية:

1. آراء الإمام الداودي في باب المعاملات، من خلال المعيار المعرب(جمعا ودراسة)، رسالة ماجستير في الفقه والأصول، لحميم عمران، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة . فرع الفقه والأصول، جامعة الحاج لخضر . باتنة، الجزائر،السنة الجامعية: 2009 2010م.

2. أهمية موقع ليبيا عبر التاريخ، أمنة مصطفى عمران، كلية الآداب والعلوم، زليتن، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية.

3. تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من(600هـ .1164هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، فاطمة علي إمحمد احويلات،جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السنة 2016م.

4. دراسات في السنة النبوية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد(16).

الدعوة ووسائل الاتصال، د.سيد محمد سادتي، مذكرة

5–الداودي التلمساني المالكي وكتابه الأموال، مساهمة في التنظير للمالية العامة وإصلاحها، بقلم: أ: حياة عبيد، مجلة البحوث والدراسات . العدد(11) . السنة(8) .2011م.

6. الرحلات المغربية والأندلسية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أفاق الثقافة و التراث، السنة الثانية والعشرون ، العدد (86)، 1435هـ . 2014م.

7. الحركة الفكرية في طرابلس الغرب عهد بني خرزون، مجموعة،جامعة بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 2017، المجلد7، العدد(1).

8. الحياة الثقافية في أقليم طرابلس الغرب من خلال رحلة التجاني، للدكتور: علي محمد سميو، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة مصراتة، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد التاسع، يونيو 2017م.

9. الحياة الثقافية في ليبيا (ابن الأجدابي نموذجاً)، دراسة تاريخية تحليلية من خلال رحلة التجاني، للدكتور: رمضان المختار رمضان الجامع كلية التربية الزاوية جامعة الزاوية.

10. مسالك الإمام الداودي المسيلي في شرح غريب الحديث من خلال نصوصه في "فتح الباري"، خولة الذيب ، رسالة ماجستير، في العلوم الإسلامية – تخصص: الحديث وعلومه، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، معهد العلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 2016 . 2017م.

11. الصلات العلمية بين مكة المكرمة وطرابلس، شيوخ وتلاميذ، بحث مقدم للندوى الكبرى، مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، لعام 1426 هـ.

12. الفكر الإقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، دراسة تحليلية لكتاب الأموال، لمحمد ذياب، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، فرع الاقتصاد الإسلامي، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة، الجزائر، السنة الجامعية:2006 ـ 2007م.
13. هجرة بعض العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي، الأسباب والنتائج: د.عبدالله انبية المعلول، كلية الآداب، جامعة الجبل الغربي، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الأول، السنة الثانية، 2007م.